

حسين نور عبدالله
الإنسان والأديان
من علة الآخر؟

الإنسان والأديان

حسين نور عبدالله

اهداء

"لكل من علمني حرفا، لكل من آمن بي وشجعني يوما، ولكل من حاول إحباطي يوما!"

أما أنت يا والدي، لم أجد مفردات في معاجمنا لكي أسوغها كـ شكر لك، وهذا العمل ليس الا نتاج بذرة زرعتها يوما.

الفهرس

مدخل

الأنسان والأديان ..من علة الأخر ومن يستخدم الأخر ؟

منذ آلهة جبال الألويمب وقصة الأنوما اليش السومرية والبراهمن في الشرق الأقصى سادت علاقة من نوع فريد بين السماء والارض ، بين البشر ومخاوفهم عند البعض وبين البشر وخالقهم عند البعض الأخر .

حروب وقتلى وتعصب ورجعية هكذا يصفها البعض فيما البقية يرونها سمو عن المحسوس للامحسوس سمو يحتاج الى تمارين صوفية ووجدان حاضر .

بين الروح والجسد قصة أديان وضعت تساؤلات فلسفية ستبقى مابقي الأنسان عن كنه العلاقة بين الأنسان والاديان ، هل كانت نتاج لمخاوف أسلافنا أم كان اتصالا حقيقيا بين الاله ومخلوقاته .

بحر يصعب سبر أغواره ، سطحه مظلم خندس وأعماقه نور و ضياء للعقل ، حب وكراهية وفراق والتقاء ، حضور وغيب وعلة لظالم وشكوى بيد المظلوم ، رمح في يد جماعة وسيف في يد جماعة أخرى وخنجر في يد فئة تختبئ هنا وهناك .

هكذا هي العلاقة بين الأنسان والأديان منذ القدم ، فلنستعد للمغامرة لعلنا نسبر أغوار هذا البحر المجهول ...

في البداية ....

في البدء كان الانسان هذه هي الحقيقة التي يتفق عليها المؤمنو ن بالاديان ومن يخالفونها ، النقطة التي تصل اليها نظرية التطور وتنطلق منها نظرية التصميم ، المنبع اللذي أنتج الأفكار والأديان ا لمختلفة حتى وان حاولت التنكر لذلك يبقى الأنسان كوجود يسبق ك ل الأديان والافكار والمعتقدات .

فالانسان وجد في بيئة تتناوشه فيها المخاطر من كل حدب ، وق ف حائرا متأملا قدراته المحدودة مقارنة بالمخلوقات من حوله ور ازح تحت احتياجات جسمه ليبقى حيا كل يوم .

في كل يوم خاض الانسان معركة بقاء هناك في ادغال افريقيا حيث أن علماء الوراثة يؤكدون على أن افريقيا هي مهد البشرية .

فكانت أعين ذاك البشري مثبتتا على الأرض يرقب ما يقدر عل ى اصطياده بعين متحفزة وبعين أخرى متوجسة يرقب كل ما يدب من حوله ويشكل خطر عليه .

دائرة مغلقة على الأنسان والحيوان جعلته يبحث عن حائط يستن د اليه عله يقلل من الخوف ويمده بطاقة تعينه أو على الأقل يكف أ ذاه عنه .

هنا كانت الحاجة للسيد الحيوان حيث يتم القيام بطقوس من قبل كبير القبيلة حول الفريسة كنوع من التكريم .

ولم يكن الانسان مع هذه الاخطار من حوله يفكر في غده فلم يع رف الكذب والخداع كون التملك كان غائبا عن عقليته فكان يتشار ك ما اصطاده مع الكل في جو من الأشتراكية البدائية ولهذا أيضا

لم يعرف حضارة فالحضارة لا تكون الا في حال الأستقرار والانسان يبدع حينما لا يواجه الخطر الدائم .

ومرت الأيام والانسان المقلد كما يصفه أرسطو ينمو في تقليده وفي مراقبته للحيوانات التي أستبقاها وهي تتكاثر فيما بينها ، فبدء بالسيطرة على هذا التكاثر لكي يبدأ في الأنتقال من طور الصيد الى طور الاستقرار شيئا فشيئا حتى كان اكتشاف النار قد وفر للأنسان خيارات أكثر ما يعني قوة أكبر ، فبدأ في استخدامها للدفاع عن النفس وأيضا لأنارة عتمة الليل التي كانت تهدد وجوده وغيرها من الاستخدمات .

فقد كان اكتشاف الأنسان للنار التي لا يعرف كيف تم اكتشافها من قبل الأنسان ، ثورة حقيقية في تاريخ الجنس البشري تفوق ثورة كوبرنيكوس ، حيث جعلت النار الأنسان يستقر وبددت الكثير من المخاطر التي كان يواجهها .

وحالما انتقل الانسان الى طور الزراعة حيث كان الذكور يخرجون للصيد والاناث يحرثون الأرض ، استدعت حاجة الأنسان هنا أن يستبدل السيد الحيوان بعبادة القمر أو الشمس كونهما تأثران في حياته أكثر من السيد الحيوان .

وهكذا نرى أن المحرك الأول للأعتقاد هو الأحتياج حيث كان الأنسان يحتاج الى الأعتقاد بقوة أكبر منه هي سبب المآسي التي تحدث له وأيضا لتفسير ما يكتنفه الغموض ومالم يقدر العقل على تفسيره عن طريق القصص الأسطورية وحرب الألهة كما فعلت جل الشعوب البدائية .

فالالهة المتعددة كانت انعكاس للمخاطر المتعددة التي يواجهها الأنسان ومن ثم بدأ الأنسان بعد استقراره بدراسة ماحوله والتساؤل

عن سبب وجوده فكان لزاما وضع قصة خلق تتماشي مع المعتقد
.
فكان الاله اللذي سمي "البراهمن " والذي لا تستطيع اللغة أن تعبر عنه هو الاله في شبه القارة الهندية ، فيما نزع السومريون الى اعطاء مردوخ السلطة المطلقة بعد تغلبه على تيمات ، ويجعل من جسمها السماء والأرض في قصة الأنوما أليش ومن ثم بنى مدينة بابليون .
وقبل أن نتحول الى جبال ألالويمب وآلهتها علينا أن نبقى في الشرق لكي نراقب تطور البراهمن اللذي لا تعبر اللغة عنه ينقسم الى ذكر وأنثى فيكون بهذا قد خلق الجنس البشري .
وكون اللغة لا تعبر عنه فلم تكن الحوارات اللاهوتية التي تشهدها الأديان عادة هي المرحلة التالية بقدر ماكانت الممارسة والتطبيق .
حيث أن الأديان في الشرق الأقصى نزلت الى ساحة الممارسة أكثر منها الى اللاهوت ، فكونفوشيوس سأل عن الموت فقال "فلنعش أولا " وكانت تعاليمه تدور حول الأخلاق والعيش دونما مناقشات لاهوتية مطولة .
وكذلك كان بوذا حيث امتعض من سؤال أحد اللاهوتيين اللذي تسائل عن وجود الاله وماهي ماهيته فرد بوذا :" هذا الرجل كمن أصيب بسهم وبدلا من العلاج يتسائل عن هوية صاحب السهم وأين يعيش فيضيع وقته في غير المهم " .
فكان التطبيق السمة الأبرز لذلك تم الحفاظ على روح الدعوة الأولى كون الممارسة تتعاطى مع لب الرسالة وليس الحرف عكس الأديان السماوية التي في معظمها تعاطت مع الحرف أكثر من اللب فأنحرفت عن مسارها بالكامل .

فيما السومريون وضعوا قصة الخلق انوما الش والزرداشتيون وضعوا اله للظلمة يناجزه اله النور فكان تعظيم النار كونها مصد ر من مصادر النور .

فيما في مكان غير بعيد عنهم كانت مملكة يهوه وقصة آدم اللذ ي حرس الجنة التي انفجرت من خلال ثلاثة أنهر هي جيحون ود جلة والفرات في وقت كان الاله يعيش في أورشليم قبل أن يتم طر د آدم من الجنة بعد أكله من الشجرة المحرمة .

وقد كانت مملكة الشمال مملكة بني اسرائيل تملك ذات القصة ولكن كانوا يخاطبون المفارق بالوهيم كتقديس له حيث لا يجرأون على نطق اسمه.

ولا ننسى الأشارة الى أن الأديان السماوية الثلاث تشترك في ذ ات قصة الخلق مع اختلاف في التفاصيل بين الاسلام والمسيحية واليهودية وايضا تقارب تواجد هذه الاديان جغرافيا

فيما اختلاف المسميات كان لاختلاف سبل الاحتياج مع بقاء م نفذ الأحتياج كأهم طرق التقديس .

حيث أن الأحتياج عن ضعف أخرج آلهة متعددة بتعدد مخاوف الأنسان ، فلم يكن الأله متعددا بقدر ماكانت المخاوف التي تستخد م منفذ الأحتياج هي المتعددة .

وحينما أصبح الاحتياج يكمن في الرغبة في المعرفة أصبح الال ه واحد كاله الخير لافلاطون واله التصميم لارسطو و الاثنين معا بالنسبة للرواقية ومن ثم الأديان السماوية .

فلا وجود لتضاد بين الكثرة والوحدة وصفا كما حفلت به جنبا ت محاورة بارميندس حيث أن شيئا واحدا يملك الكثير من المسم يات في شتى اللغات وأيضا الكثير من طرق الوصف ، ويجب أن

نعلم أن الاله بالنسبة للمؤمنين به ليس شيئا وهو كامل متكامل لا يـ
حده شيء ولا يقع تحت الزمان والمكان .

آلهة الألويمب والنمط العقلي

في أوروبا كانت مرحلة الأنتقال من النمط الأسطوري الى العق
لي أوضح بشكل أكبر ، حيث أن الشرق جعل الانسان هو المحور
بعدما انتقل الى مرحلة التطبيق فأبقى على الأساطير كما هي عك
س الغرب اللذي جعل الاله هو المحور فكثر الجدل اللاهوتي فيها
.

فمواسم القحط كانت نتيجة اغضاب زيوس لزوجته بعد تزويج
ابنته برسفوني الى اله العالم السفلي واللذي بدوره اختطفها ، ماجع
ل زوجته تلغي كل امتيازات البشر حتى تم حل المشكلة في مجلس
الألهة وتم الأتفاق على أن تمضي برسفوني ٤ أشهر من كل عام
مع والدتها .

ويتضح أن الألهة ليست الا بشرا تتحول وتنقلب من حال الر
ضى الى السخط وتوجد تحت سقف الزمان والمكان وليست كاملة
العلم فكانت مجرد انعكاس للبشر كما قال أسكانوفان الأيلي حيث أنـ
تقد قصص هوميروس وقال أن الاله ينبغي أن لا يشابهنا وأن يكو
ن متكاملا .

وقبل أكسانوفان كان طاليس قد نأى بنفسه عن هذه القصص وو
ضع الرطوبة كأساس للمادة الأولية للحياة فيما لم يعجب هذا تلميذه
أناكسمندريس اللذي قال أن المادة الأولى يجب أن تكون لا نهائية
ولا يعتريها نقص .

قبل أن يأتي أنكسمانس ويقول أن الهواء أصل المادة الأولية وو
ضع قانون التكون والفساد " اللوغس" وهو تناغم المتضادات ففي
سكونها يكون التكون وفي تحولها الفساد .

ونرى كيف أن العقل بدأ يعتمد على الملاحظة في تحليلاته وب
عيدا عن صياغة القصص بدأ يفسر العالم بطريقة عقلية على الملا
حظة والحجة والمنطق .

وأستمرت الملاحظات حيث قال بارميندس أن الواحد يبقى واحـ
د ولا مجال لوجود عدم أو خروج شيء من العدم وهذه ارهاصات
لقانون حفظ الطاقة فيما قال هيراقليطس الفار من العلوم الطبيعية
أن كل شيء يتغير ، فالخير شر يزول ، والشر خير يتلاشى والان
سان لا ينزل الى النهر مرتين .

وعلى نفس النهج سار انبادوقليس فوضع أربع أنواع هي الماء
والهواء والنار والتراب كأصل للحياة ليحل المعضلة التي نشبت بي
ن هيراقليطس في التغيير وبارميندس في الوحدة والتي أدت الى ان
كار زينونا لأيلي للحركة في أمثولة السهم .

وأيضا كان الفيثاعوريون قد أشاروا الى أن العالم مجرد أعداد
ونغم في نسخة بدائية عن نظرية الأوتار اليوم .

ومع هذا الزخم الفكري اللذي كان يحيط بأثينا التي لعب موقعها
الجغرافي دورا بارزا في نهضتها مازالت تؤمن بآلهة الألويمب و
ما يشير اليها كساحة الأكروبال ومعبد دلفي .

حتى أتى أنكساغوراس اللذي أنكر الالهة وقال بنسبية كل شيء
وأن الأنسان هو من يضع القانون فاتهم بالالحاد فخرج من أثينا .

وكان نسبية الفضيلة هي المسألة التي أخرجت لنا سقراط فبدأ يـ
حاور الناس لتبيان كيف أنهم يكتفون بالغموض اللذي يعطيهم وهم
المعرفة وهذا ما صاغه ميرلو بونتي فيما بعد .

فكانت محاوراته تركز على معنى الكلمة وأن على الأنسان الـ
تفكير فيما يراه بداهة بعد تبيان الجهل للطرف الأخر .
فكان سقراط غالبا ما يسأل لكي يستخرج الجهل من وهم المعر
فة للفرد متقمصا دور والدته التي كانت تساعد نساء أثينا في حالا
ت الولادة .
كان سقراط يزحزح جبال الوثوقية المفرطة ، فقد كانت محاور
اته كتمارين روحية تنقل الانسان من حال الى حال .
وقد نهج تلميذه أفلاطون هذا النهج فكانت نظرية المثل مجرد مـ
حاولة لتفعيل النفس للنقاش حيث أنه لم يكن متزمتا كحال من جاء
بعده في الأكاديمية .
وقد كان أفلاطون بؤمن باله الخير وان كان يشوبه الكثير من الـ
غموض ، كما كان أرسطو يؤمن باله التصميم وان كان تركيزه فـ
ي العلوم الطبيعية أكبر.
وهنا نرى أن اختلاف الاحتياج من الخطر الى الرغبة في المعـ
رفة أنشأ لنا الها واحد عكس المخاطر المختلفة التي أنشأت لنا آلهة
متعددة .

اله واحد

كانت الرغبة في المعرفة والفهم قد أنتجت لنا اله الخير لأفلاط
ون واله التصميم لأرسطو .
وعلى الرغم من أن الفلسفة بدأت تركز على تساؤل من اين تتأتـ
ى المعرفة ؟ من الحس أم العقل ؟ ، الا أن هذا لم يمنع الرواقيين
على وضع اله هو خالق لهذا الكون ومدبر له بخيرية مطلقة .

وقد كان الرواقييون بهذا التفسير قد خرجوا عن المؤلوف حيث أن لا شيء يأتي من العدم ولكن نظرية الرواقيين وضعت عالما أ صبح بعدما لم يكن .

وكان الحكيم الرواقي هو من يعرف مراد الاله ويتبعه حيث يحكى أن زينون الكتيومي مؤسس الرواقية والتي سميت بهذا الأسم كونهم كانوا يجتمعون في رواق للشعراء يضرب عبد له قائلا لا تآخذني فأنا أنفذ ارادة القدر فرد العبد وأنا أيضا حينما أخطأت كنت أنفذ ارادة القدر ! .

وهذه الضبابية في مسألة القدر أنتجت لنا حجة الشر الشهيرة حينما تسائل أتباع ابيقور من أين يأتي الشر ان كان الاله خيرا .

وقد كانت تسود أثينا حالة من اليأس بعدما فقدوا حريتهم وأصبحوا أتباعا للمقدونيين سياسيا وعلميا حيث ساد الاسكندر وأرسطو ، فكان اليأس والتساؤل عن مغزى الحياة يطغى على التفكر في كيفية نشأة الحياة فكانت المذاهب الفلسفية توضع على هذا النحو كالكلبية ومؤسسها أنستمانس وأشهر روادها ديوجانس والميغارية ومؤسسها اقليدس والقورينائية نسبة الى مدينة قورينا ومؤسسها أرستبوس ويطلق عليهم السقراطيون الصغار مقارنة بأفلاطون .

وكانت فكرة الاله الخالق فكرة ذات طابع شرقي ، حيث أن أرسطو وضع الاله متقدما بالرتبة مع أزلية العالم ، فيما كان الاله الخالق لهذا العالم موجودا كما أشرنا في البراهمن أو البان كي مو التنين الأسطوري اللذي استحال جسمه الى هذا الكون أو قصة الانوما الش ومردوخ وكذلك يهوه وآدم حارس الجنة .

حيث ان الجو السياسي في الغرب بدأ يشابه الجو السياسي في الشرق حيث تنتشر الممالك عكس ما كان في الغرب حيث كل مدينة تستقل بحكمها .

فكانت فكرة وجود اله تتسرب باستمرار من الشرق الى الغرب مع تراجع في الحس العلمي حيث أصبحت المذاهب الفلسفية مقلدة لا تأتي بجديد وتعول على الأنعزال والوعظ كما كان من ديوجانس الكلبي وأبقتاتوس و سنيكا مع اهمال للعلم الطبيعي حيث أن الرواقية والكلبية والأبقورية أتفقوا على التركيز على الحياة وتعلم مايفيد الأنسان وعدم التعمق في العلوم الطبيعية وكل هذه العوامل كانت في جانب الديانة المسيحية التى أقتحمت الساحة الفكرية الاغريقية بمبدأ الاله الذي بعث ابنه ليخلص العالم .

وقد كانت بعض المذاهب الفكرية والاعتقادية لها وجود في الساحة كالمانوية اللذين يؤمنون باله للخير وأخر للشر والغنوصية اللذين ركزوا على مشكلة الشر وقالوا بأن الشر متأصل في هذا العالم والأفلاطونية المحدثة لأفلوطين والتي وضعت مراتب للوجود أعلاها الأله وأخر المراتب المادة مصدر الشرور وبعدها عن النور الالهي هو السبب .

وقد أكملت المسيحية الفراغات التي تركتها المذاهب الفلسفية فقدمت اجابة على الهدف من الحياة وكيف تحصل السعادة وماذا سيكون بعد الموت ما جعله تروج بين عامة الناس حتى أعتنق أوغسطين المسيحية وشرعها كديانة رسمية للمملكة الرومانية مع استنكار كبير من الفلاسفة بفكرة الاله البشري فكانت المناظرات بين الفلاسفة ومعتنقي المسيحية على أشدها في هذا المحور ولكن وما أن تغيرت موازين القوى حتى تم أغلاق أخر المدارس الفلسفية وهي الأكاديمية عام ٥٢٩ وليكون أغلاقها اذانا ببدء العصور الوسطى الأوروبية .

فيما هناك في أطراف الجزيرة العربية انبعثت ديانة جديدة وهي الأسلام والتي أعترفت بالمسيحية واليهودية مؤمنة باله واحد و

حاملة لشعارات أخلاقية تفيد الأنسان لتكون ولأول مرة ديانة تجعل الأنسان مركز انطلاق وحجر أساس .

حيث أن النبي محمد عرف بوجود اله مخاطبا العقل بالحجة عكس ما كان يعرف عن الرسل من قبله حيث تحضر المعجزة التي يعقبها الأذعان عكس الحجة التي تقبل الأخذ والرد ، وهذه دلالة تشير الى مكانة الانسان في هذه الديانة حيث أنها أيضا وضعت المساواة والعدل كأهم متطلباتها لتثبت تركيزها الكامل على الأنسان .

ولم تعرف الجزيرة العربية حضارة من قبل حيث كان أغلب قاطنيها من البدو الرحل وعلى الرغم من وجود مدن في الجزيرة العربية الا أنها كانت استثناء غريبا كونها لم تصدر حضارة على الرغم من استقرارها وهذا عائد الى استحقار أهلها العمل والعلم وهذه حالة غريبة قل ما شهدها التاريخ .

فكان الرعي الغير متعب والتبضع ومن ثم البيع هي أعمالهم لا أكثر وهذا الوضع معاكس تماما لما كان يحدث في الحضارة الرومانية حينما قدم بولس .

وهكذا نستطيع أن نرى كيف بدأ الأنتقال من الألهة المتعددة الى اله واحد حيث كان الأنتقال متعلقا بالأنسان فحينما غير وجهة الأحتياج من المخاطر المختلفة الى الرغبة في الفهم ، تغير كل شيء .

وهذا لا يعني أن الأنسان أوجد الاله بقدر ما يعني أن الأنسان تعرف اليه من طرق مختلفة .

فلسفة الأخلاق

كانت فلسفة الأخلاق في الشأن اليهودي مقتصرة على المجتمع اليهودي .

فارتباط يهوه بمملكة يهوه القابعة بجانب السومريين والههم مر دوخ أثر في الفلسفة الأخلاقية حتى جعلها ذا طابع قومي فلم تحضى بانتشار كبير عكس المسيحية والاسلام حيث أن فلسفة الأخلاق في أساس الرسالتين عند عيسى ومحمد عالمي يركز على الانسان من حيث هو دون النظر الى عرق أو جنس أو لون قبل أن يتم الاضافة عليها ليكتسبا طابعا قوميا .

فيما كانت البوذية والكونفوشيوسية معتقدات ذات طابع عملي أكثر تركز على الأنسان ولهذا حظيت أيضا بانتشار مقبول .

فيما كانت الزرادشتية والمانوية والغنوصية تقدم تفسيرات على أثرها يتم اعتناقها .

فالأديان من حيث الأساس تركز على الانسان وتقدم اجابات على تساؤلاته وترسم له خارطة طريق للسعادة في الدنيا وتبشره بجزاء أخروي مبني على العمل الصالح فيما بين البشر .

فالاديان ترغب بالعدل والمساواة وتذم الظلم والعنصرية والكذب والأنانية وسائر الصفات السيئة في الانسان ، ولهذا فالاديان والاخلاق تتمازجان كون الأخلاق تسبق الاديان وجودا مع ادعاء البعض أن الأخلاق نتاج الاديان وهذا يخالف مبدأ أن الأنسان علة الأديان كون الأخلاق ترتبط بالأنسان وجودا فيما الأديان معلولة بالانسان .

فالأديان تدور في فلك الأخلاق ترغيبا وترهيبا ، حيث تبنى خطابها للأنسان حول الاخلاق، ومن الصعب أن تجد معتقدا ينتشر

بسرعة وهو بعيد عن دائرة الاخلاق على أن ما حدث في تاريخ الد
يانات من حروب وقتل واستعباد ما هو الا اضافات بشرية على ا
لأديان .

تحريف الأديان

أشرنا سابقا أن الأديان أتت لتحافظ على حقوق الأنسان وارشاد
ه الى الطريقة المثالية في هذه الحياة والترغيب على الخير .
فالأديان والمعتقدات والأفكار تتنامى باستمرار اما سلبا أو ايجا
با ، حيث أن أغلب المعتقدات دينية كانت أم فكرية تكون ذات قو
س مفتوح للكل وما يلبث هذا القوس يتصاغر حتى يضيق بأهله .
فلو علم الفلاسفة الرومانسيون كنوفاليس وشيلنج أن نزعتهم الـ
شعوبية ستؤدي الى حروب عالمية لتوقفوا عن بث أفكارهم التى تنـ
امت بشكل سلبي .
فماركس يختلف عن الماركسية ، وداروين يختلف عن الداروي
نية ، وعيسى يختلف عن الكنيسة ، ومحمد يختلف عن المسجد .
فبأسم ماركس اللذي عاش مع ولأجل الفقراء قتل ماوتسي تونج
وستالين ملايين البشر .
ولأجل عيسى اللذي أمر بمحبة الأعداء ومباركة اللاعنين تم ا
ستعمار قارتين وابادة من فيها ناهيك عن محاكم التفتيش .
وبأسم محمد اللذي وقف بجانب المستضعفين من قومه أمام المـ
ترفين تم استعمار أراضي ونهب ثرواتها وجلب أهلها كعبيد وجوا
ري .
فماذا حدث لهذه الأديان حتى تنقلب مبادئها بهذا الشكل ؟

اللذي حدث أن هناك وجود لأختلاف كبير بين متبعي الأديان ا
لأوائل وبين أتباع الأتباع .
حيث أن الحجة تفرض نفسها على الأوائل فيصلون الى روح
الرسالة والمبتغى فيعيشون بهذه الرسالة وبكامل ما تحمله من تعاليم .
فيما أتباع الأتباع يتعاملون مع الرسالة كتعاليم وليس كفكر ، في
حل الحفظ عند أتباع الأتباع مكان الدهشة والحجة عند الأوائل فت
ضيع الفكرة وروحها ويبقى حرفها فقط .
وكون التعاليم خلت من المعنى فسيتم تأويله على حسب الأحتيا
ج ومن ثم يتم تقديس هذه الأراء حتى تغدو جزء لا يتجزء من الد
ين وهنا تكون الكارثة والتغيير الكامل لمسار الدين .
ففكرة التثليث وقومية الدين وفكرة الخلافة عند المسلمين واستبا
حة الأرض من قبل الأديان الثلاث كلها ناشئة من تأويلات بشرية
تم الباسها لباس القدسية فحولت الدين من خدمة الأنسان وتنقيته الى خدمة الأنسان للدين وأيضا توليف نقائص الأنسان مع الدين ...

توليف نقائض الأنسان مع الأديان

شعارات الأديان كما أشرنا سابقا غالبا ما تكون متشابهة وهدفها الأرتقاء بالأنسان وتنقيته من الشرور .
ولكن كل هذه التعاليم تنتكس بعد الجيل الأول حيث تحل التأويلات البشرية مكان التعاليم التي تم اخلائها من المعاني .
فالكراهية والحقد والأنانية تحضر بشكلها الجماعي المتأصل في " النحن " .

فحملات المسلمين وليس الأسلام والمسيحين وليست المسيحية توضح لنا أن الرسالة تنجح في اصال محتواها مع الجيل الأول و بدلا من التصاعد تهوي شيئا فشيئا حتى لا يبقى منها الا اسمها .
فبدلا من أن يقضي الدين على الأنانية نراها تتحول الى "نحن وهم "، دون أي أختلاف عن ماتحتويه الأنانية في الحالة الفردية ك الكراهية والحقد .
وبدلا من أن يكون الدين مشروعا لاستقلالية الفرد نراه يصبح أ داة يقتل ان لم يكن مع الدين ويتم استخدامه كوقود لمعارك هذه الم عتقدات وهذا لا يكون الا بعد سحق كامل للفرد واستقلاليته عن ط ريق التعصب للجماعة أو ما أطلق عليه غوستاف لوبون المنطق ا لجماعي اللذي يجعل الفرد رقما من مجموعة أرقام يطلق عليها ال جماعة .
وأيضا كانت الفيلسوفة اليهودية حنة أرانت قد توصلت الى هذا بعدما درست الحالة النازية التي كان الفرد فيها يقتل ويعذب دون أدنى تفكير في عاقبة ما يفعل أو تقييم لما يفعل بجانب الأعتياد بالق يام بهذه الأمور في بحث أسمته تفاهة الشر .
وتقول حنة أرانت أن الفاعل الحقيقي لهذه المجازر مجهول حيث أن الاديان والافكار هي المتهم الرئيسي .
فيجب اعادة النظر في هذه المعتقدات والأفكار وتنقيتها ووضعها في مكانها الصحيح اللذي يخدم الأنسان لا العكس .
فأي فكرة لا تخدم الأنسان وتحوله الى مسخ أو رقم ستندثر في النهاية مثلما حصل للاتحاد السوفييتي وأشتراكيته حيث لا مكان لل مشاعر ! ، مجرد عمل للمجتمع وهذا مالا يطيقه الانسان .
ولهذا فاما أن يتم اعادة النظر في هذه المعتقدات والاديان لانقاد ها من الانقراض ، أو أن تستمر وينقرض الأنسان .

فتحريف الأديان واخراجها من مسارها أخرج مسارا جديدا حـ
تميا لكي يقاوم تطرف الأديان وهو الالحاد.

• الالحاد

كان اخراج الاديان من منحنى خدمة الانسان ، الى خدمة الأذ
سان للأديان وأيضا لقمعه كفيلا لأن يقف الأنسان في وجهه .
حيث أن الأنسان القديم آمن باله يحافظ عليه لا اله على الانسان
أن يحافظ عليه ، فكانت دور العبادة في كل مكان حتى أن كاتبا أغ
ريقيا قال أن المدن قد تخلو من المدارس ومن أي شيء عاد دور الـ
عبادة .
حيث أن علاقة الأنسان والأديان كانت علاقة تكاملية ولم تكن ذ
ات نزعة تهدف الى جعل الأنسان معلولا لها بدلا من أن يكون علتـ
ها وهذا ما أدى الى قرون الشك الأوربية في القرنين السابع عشر
والثامن عشر مع ازدهار العقل وقيمته ومكانته حيث أن الكنيسة ا
لتي كانت أرائها مبنية على نقاشات بين القساوسة والفلاسفة حتى تـ
مكنت الكنيسة من التضييق على الفلاسفة بقتل هيباتيا وأغلاق المد
ارس الفلسفية الواحدة تلو الأخرى حتى بلغت ذروتها مع حرق جـ
يوردانو برونو .
وقد كانت الكنيسة تتبع مقولة " أطفئ مصباح عقلك وأتبعني "
فعادت البشرية خطوات الى الخلف منذ القرن الخامس وحتى القر
ن الخامس عشر .

- عودة العقل

نشأة الكون
كان من الواضح أن دور العقل اختفى تماما وحل محله التد
سليم المطلق ، حيث أن راديكالية الكنيسة حالت دون تقديم
أطروحات علمية تفسر نشأة الكون .
وكان كل من ديكارت وأسبينوزا ومنتقديهم من أصحاب الـ
مذهب الأمبريقي جان لوك وديفيد هيوم وباركلي وبيركلي
قد أعطوا مساحة جديدة يستطيع العقل من خلالها العمل وه
ي اعادة الحياة لذات السؤال اللذي أنتج نظرية المثل الأفلا
طونية والجوهر والمادة لأرسطو .
حيث أن " من أين تتأتى المعرفة " أضحى المجال الجديد لـ
لبحث بعيدا عن اللاهوت اللذي اعتمد البرهنة العقلية من
قبل القديس انسلم وتوما الأكويني .
ولكن الثورة العقلية بدأت مع كوبرنيكوس حينما أثبت صد
ق أقوال أرسطرخوس الفيثاغوري والتي تأكد أن الأرض لـ
يست مركز الكون .
وقد لاقى هذا القول استهجانا من قبل الكنيسة ، وعدته هر
طقة كونه ينافي ماكتب في الكتب المقدسة ، وكانت هذه احـ
دى التهم التي أحرق من أجلها جيوردانو برونو أمام حشد
من الناس ولكن التاريخ أعاد الأعتبار لهذا المفكر الرائع
فتم وضع تمثال له في مكان حرقه .

ومع هذا التضييق توالت الأطروحات العلمية ، فيوهانس ك
بلر شرح كيفية سير الكواكب حول الشمس في مسارات اه
ليجية بدلا من المسارات الدائرية التي قال بها بطليموس ،
وأثبت جاليله ماقاله كوبرنيكوس ووقف متحديا موروث أر
سطو في السقوط الحر للاجسام مجريا تجربة أعادها مرار
ا وتكرارا وسط ذهول الحاضرين ، ولكن كما جرت العادة
تكون الغلبة دائما تكون للموروث دون العقل
حتى ان الطبيب زامليس واللذي يعتبر اول من شرح انسانا
احرق كتبه بعدما تم تفضيل اراء غالين المستمدة من تشري
ح الحيوانات على ارائه .
وأيضا قدم توماس هوبز تفسيره للحياة والحركة حيث قال
بألية كل شيء وأن الحركة هي أساس كل شيء وهي نوعا
ن ، نوع يكمن في الخارج وهذا هو ماتدركه الحواس ونو
ع أخر يكون في الداخل وهذا لا يدرك الا بنقاء الروح ، وا
جاب نيوتن على تساؤلات يوهانس كبلر فماهية القوة التي
تحفظ القمر من السقوط حينما وضع قانون الجاذبية .
وهكذا كانت الاكتشافات منذ القرن الرابع عشر في توالي
مستمر مع تراجع في قبضة الكنيسة على العلم كون أرائها
مبنية على الأيمان أكثر من أن تكون مبنية على العقل ، فز
ال اللجام اللذي وضعته الكنيسة على العقل فأنطلق يجوب
كل الحقول مكتشفا فهل يا ترى سيجيب عن كيف وجد الأذ
سان ؟

التطور والتصميم الذكي
لم يدر في خلد ذاك الشاب المهوس بجمع الحشرات والمبغ
ض للطب أن يخلق ثورة جديدة قال عنها سيغموند فرويد أ
نها تشابه تأثير ثورة كوبرنيكوس .
نظرية التطور لتشارلز داروين أثارت اللغط منذ اصدار ك
تاب أصل الأنواع والى يوم الناس هذا مازالت هذه النظر
ية ساحة لأكثر الحوارات العلمية اللاهوتية .
حيث أن توظيف هذه النظرية من قبل بعض الاتجاهات الف
كرية أخرجها عن مسارها وأستجلبت العداء من قبل معتنق
ي الأديان .
فمحتواها يركز على الكائنات وكيف كانت البداية وقد تكو
ن هذه هي طريقة الخلق الاله ، الا أن هذا لم يمنع أسقف
كامبردج أن يرد ساخرا على العالم توماس هكسلي " ولكن
لم تخبرني أي أجدادي قرد ؟ جدي من أبي أم من أمي ؟"
فتعالت الأصوات بالضحك ولكنها ازدادت حينما رد هكسل
ي " أن يكون جدي قرد خير من أن يكون مثلك " !.
وعلى الرغم أن ارهاصات نظرية التطور وجدت عند هير
اقليطس وطاليس وتلاميذه وديمقريطس وأيضا ابن خلدون
أشار الى شيء من هذا القبيل ناهيك عن لا مارك ونظريته
المشهورة أنذاك حتى جد داروين قد تناول هذا الموضوع
.
وكان داروين الرجل الاخلاقي قد وصل الى نظريته كانتيج
ة لملاحظاته في سفينة البيجل والتي استغرقت خمس أعوام
من عمره .

وكانت النظرية ترى أن كل الأنواع أتت من أصل واحد و
من ثم تطورت عن طريق الأنتخاب الطبيعي اللذي يستبق
ي الأصلح للحياة والتغيير يكون على المدى القصير وهو
مايستطاع ملاحظته كالبغل الناتج من تزاوج الفرس مع اتا
ن الحمار، وعلى المدى البعيد وهذا يستغرق عشرات السن
ين ومن المتعذر أن يقع هذا التغيير تحت الملاحظة .
ولا يخفى أن نظرية التطور قد تطورت كثيرا عن تلك التي
توجد في كتاب أصل الانواع .
وشرح النظرية في صفحات عدة أمر يفقد النظرية عمقها
ولذلك ينبغي على الفرد أن يقرأ عنها بنفسه فالجاهل عدو م
ا يجهل دائما .
وقد كانت نظرية التطور ضربة قوية للكنيسة بعد تلك التي
أحدثتها ثورة كوبرنيكوس ، حيث أن الانسان صمم من قب
ل الاله والكون خلق في ستة أيام وكذلك المخلوقات كلها ت
صورات لم تعد تقنع العقل الأوروبي آن ذاك .
وقد كان بالامكان النظر الى هذه النظرية كطريقة لخلق الا
له ولكن العداء من الكنيسة كان لذات الاسباب التي سبق ذ
كرها في تحريف الأديان ، حيث أن قدسية الكتاب أصبحت
جزء من قدسية القسيس ذاته فالخروج عن فهم القديس هو
خروج عن الدين .
فداروين لم يكن ملحدا بقدر ما أنه أجاب على تساؤل مهم ب
طريقته الخاصة والتي تستند الى الملاحظات والأدلة .
ولهذا فالالحاد غالبا ما يكون تهمة في غير محلها ، فالاله ل
ه صور لا تحصى قد يكفر الانسان بصورة أو صورتين و

لكنه يؤمن بصورة أو يبحث عن صورة معينة للاله ليؤمن
بها .
وهكذا كانت ثورة العقل قد أخرجت ابداعات الانسان المكب
وتة والتي أوصلتنا الى ما نحن فيه اليوم .
ولكن هل كانت الكنيسة بعيدة عن هذا ؟

مارتن لوثر

كان مارتن لوثر أحد أفراد الكنيسة ، ولكنه رأى أن لكل شـ
خص الحق في قراءة الكتاب المقدس بلغته التي يفهمها علمـ
ا أن الكتاب المقدس كان مكتوبا باللاتينية ويقرأ في جو من
الطقوسية المخاطبة للمشاعر .
وأيضا انتقد صكوك الغفران وتزوج ليمثل ثورة في داخل ا
لمجتمع الكنسي أدت الى حرب الثلاثين عاما بين الكاثوليك
والبروتستانت مات فيها خلق كثير وخلفت ورائها الكثير مـ
ن الدمار .

تأثير الأديان على الأنسان

كان تأثير الأديان على الأنسان متفوات ، حيث أن المسيحية
أدخلت أوروبا التي كانت تعيش نهضة فلسفية وحركة علمـ
ية الى عصور ظلامية تراجع الأنسان فيها مئات الخطوات
الى الخلف .

فيما الأسلام كان ذا موقف غريب ، حيث خلق من لا شيء
حضارة عظيمة ، ولكن باسمه تم اعادة الأنسان أيضا مئا
ت الخطوات الى الخلف .
فلو تأملنا العلة لرأينا أن أصولية الكنيسة التي أكتفت بالكتا
ب المقدس كان سبب الجمود العقلي والفكري آن ذاك .
عكس ما فعله الاسلام في بادئ الأمر حيث كان باب العلم
مفتوحا وفي مختلف الحقول وان تم قتل الحلاج بطريقة أ
شد قسوة من جيوردانو برونو .
الى أن الأسلام اليوم عاد الى الأصولية والاكتفاء بالقرآن و
السنة كما فعلت الكنيسة تماما ولذلك الأسلام يعيش اليوم ..
..

القرون الوسطى الأسلامية

لقد كانت الأصولية هي أساس هدم الحضارة العلمية الروم
انية وأيضا سببا في وجود قرون الشك السابع عشر والثام
ن عشر .
فما حدث وأكتشف في القرون الوسطى لم يكن يلغي وجود
اله بقدر ما يعيد النظر فيما سمي بالمسلمات وتم اعمال ال
عقل فيها نقدا لكي يخرج الانسان من طور الجمود اللذي ع
اشه منذ القرن الخامس وحتى القرن الرابع عشر .
ومع أن هذه الأفكار تقدمت بالبشرية خطوات أمامية الى أن
ها جوبهت براديكالية من قبل الكنيسة ماجعل الانسان أمام
مفترق طرق أما العقل وأما الدين فكان هذا التخيير سببا ف

ي الفقر الروحي اللذي كان من الأسباب الرئيسية التي أدت الى الحربين العالميتين .
واليوم هاهو الاسلام يعيد الكرة بنظرة أصولية مكتفيا بالكتاب والسنة ومخيرا الانسان بين العقل والدين وهذا التخيير يـ كلف الانسان دائما الكثير حيث من يختار الدين تراه يقتل بـ دم بارد لا يساويه الا ذاك السياسي اللذي يستخدم الدين لمنـ فعته الشخصية ..
وكما خسر الانسان في القرون الوسطى غربا ها هو يخسر شرقا ، يخسر نفسه ويخسر عقله حيث لا يتقدم بل يتأخر فـ هل قرون الشك قادمة ؟

الالحاد في التاريخ الاسلامي

وجد الالحاد (انكار البعث والعناية) قبل الاسلام بمسمى أخر وهو الدهريين، وكانوا ينكرون أن العالم له نهاية، وهم مذكورون في القرآن فقال الله تعالى{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} "الجاثية ٢٤"
وقد ذكرت كلمة الحاد في القرآن الكريم في مواضع شتى ولكنها لم تكن تشير الى نفس المعنى المتعارف عليه الأن.
فمنذ القدم وجد من لا يؤمن بيوم القيامة فلو ركزت في التاريخ القديم لرأيت أن انكار وجود الاله لم تكن فكرة رائجة أبدا، فالدهريين كانوا لا يؤمنون بيوم القيامة والوثنيون جعلوا الأوثان صلة بينهـ

م وبين الله وهناك بعض الفلاسفة أنكروا العناية الالهية، ولكن تكاد تجزم أن فكرة انكار الاله لم تكن موجودة.

على ذلك قال أحد المؤرخين الاغريقيين "لقد وجدت مدن بلا حـ صون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدا مد ن بلا معابد".

وهناك فلسفات كالقورينائية والابقورية والطبيعية أنكرت وجود الاله بمفهوم معين .

فالابقورية أنكروا وجود الاله الرواقي ، والقورينائية عاشت لمـ بدأ السعادة .

وكلمة الحاد قد تحتمل أوجه كثيرة فمنكر وجود الاله ملحد ومنـ كر النبوات ملحد ومنكر البعث أيضا ملحد وأيضا من يقولون بقول نيتشّه "لقد مات الاله" أو قول اليونانيين "أن الألهة المقيمة في الأ ماكن المقدسة قد ماتت!" فهو في جملة الملحدين.

فمن الممكن أن نقول أن الالحاد بمفهومه الاسلامي هو: "انكار الله أو شئ من خصائصه أو انكار أنبيائه أوانكار الأخرة".

وفي المجتمع الاسلامي كانت كلمة زندقة موازية لكلمة الحاد و مازالت تستخدم الى الآن، وكانت هي أول مظاهر الالحاد في مجتـ معنا الاسلامي.

وكحال كل الحضارات أستخدمت هذه الكلمات من قبل السلطة للقمع والتصفية!.

فكما أننا نؤمن أن سقراط عظيم وأنه رمي بالزندقة ظلما فعلينا أن نعرف أن الزندقة كانت مجرد سلاح بأيدي أهل السلطة.

وحتى المؤرخين ليسوا سواء في تعظيمهم للحقيقة، فمنهم المتعـ صب ومنهم المنتفع، فيجب علينا عند دراسة التاريخ أن نستحضر

التفكير المنطقي والتحليل، ولا نتعامل مع ما نقرأه على أنها حقائق مطلقة.

الحلاج

الحسين بن منصور ، واحد من أهم الشخصيات الاسلامية وأكثرها غموضا واثارة .

هو متهم في عين معارضيه ، مفكر في عين المستشرقين ، و شهيد في عين محبيه .

سمي حلاجا لأنه يحلج الاسرار ، وأيضا يقال أنه حلج صوفا لا يحصى في وقت قصير .

اتهم بالزندقة لقوله بالاتحاد في مقولته "أنا الحق" مع أنها لا تشير لا من قريب ولا بعيد للاتحاد أو الحلول .

وان قلنا أن الحق في لغة المتصوفة تعني "الله" ، فقد يكون هذ من باب الفناء كما قال الغزالي ، فالحبيب قد يقول بنفس القول في محبوبه ، مايعني أنه مجاز لا أكثر .

ولو تأملنا التهم الموجهة للحلاج سنرى أنها متهاهفتة ، فالتهمة الاولى هي " قوله أنا الحق وقد تكلمنا عنها ، والتهمة الثانية " اعتقاد طلابه بالوهيته ، وهذه التهمة غريبة فماذا يضر المسيح من تأليه البعض له ؟ وماذا يضر علي أيضا من تأليه البعض له ؟ وهل سيحاسبون بدلا عنهم .

والتهمة الثالثة كانت في رأيه في الحج والتي استغلت لاثارة الغوغاء كعادة من لا يبحث عن الحق بل يريد الافادة من الحق ، فيدخل الغوغاء من العامة في مواضيع فكرية لكي يستنصر بهم حينما تعوزه الحجة .

وقد كان رأي الحلاج في الحج أنه ليس بمهم ان لم يكن سيغير في طباع الحاج ، وهذا كلام منطقي فالحج بلا قصد التغيير سيكو ن طقوسا لا أكثر .

وان كان هذا الرأي خاطئا هل سيكون سببا منطقيا لجلد صاحبه ألف جلدة بالسياط ومن ثم تقطع يداه ورجلاه ويحرق بدنه ويطاف برأسه ؟! .

اذا المسألة أكبر من ذلك ، ولم تبقى لنا الا الحجة الرابعة وهي " مراسلة القرامطة أعداء الدولة العباسية " وهذا هو السبب الرئيسي لقتل الحلاج ، ناهيك عن غيرة الكثير من عدد أتباع الحلاج .

وهنا نرى أن السياسة لعبت دورا مهما في مقتل الحلاج ، فالحلاج وان كان تخطى السائد في اشهار حالته في الفناء أو مايسمونه المذهب الايجابي بخلاف المذهب السلبي لصديقه أبي بكر الشبلي ، لم يظف شيئا جديدا في الصوفية كون حالة الفناء كانت موجودة من قبله ، وحتى لو أستحدث من لدنه فلا أعتقد أن هذا جرم فهذا رأيه ! .

وبالتالي لم يكن الباعث على قتله دينيا ، فقد كان يقول وبعض العلماء يوقعون على ورقة اهدار دمه " انما أنا على السنة ، فالله الله في دمي " ولكنهم مضوا في حكمهم !.

والحلاج مفكر اسلامي مهم في التاريخ الاسلامي ، قتل وعوقب كونه تنحى عن السائد فقابله المجتمع كما قابلت الكنيسة جيوردانو بالاحراق لانه قال بوجود كائنات أخرى خارج الارض ولكي لا تسقط فرضية فداء المسيح للبشرية قاموا باحراقه !.

وهكذا هي الزندقة أو الهرطقة في التاريخ تكون بغطاء ديني و من قبل متكلمين باسم الله ولاسباب أبعد ماتكون عن الاديان .

ابن المقفع

أحد أهم الشخصيات التي أتهمت بالزندقة، وعلى رغم أن البحو ث عنه لا تسلم لهذا الامر تسليما كاملا، الا أنه وجد شبه اتفاق عل ى زندقة ابن المقفع وأنه أعتنق الاسلام ظاهريا مستدلين بواقعة ذُ كرت في نوادر ابن خلكان، أنه في يوم اسلامه كان يزمزم زمزمة المجوس، فسأله أحد الحاضرين: أتزمزم وأنت على عزم الاسلام ؟ فقال: كرهت أن أبيت بلا دين!، وقد اخذت كدليل على اسلامه ظ اهريا.

ولم يكن ذلك السبب الرئيسي لاتهامه بالزندقة، فاتهمه البعض بـ محاولة تقليد القرآن الكريم.

ولم يعرف عن اعتناقه للمانوية السائدة في عصره وبالرغم مـ ن هذا نستطيع أن نقول أن أبن المقفع كان أيقونة في عصره ذو حـ س بلاغي يتجلى في كتبه، ولكنه وكما وصفه د.عبدالرحمن بدوي : لم يمت لأنه زنديق، بل مات زنديقا!

جابر بن حيان

علم من أعلام التاريخ العربي والاسلامي، ظاهرة قل ما تتكرر ، بزغ في كل العلوم المتاحة في زمانه، يلقبونه بأبو الكيمياء وهنا ك من يقول أنه أول من درس علم الكيمياء حتى أن البعض كان يـ سمي الكيمياء "بعلم جابر".

أتهمه بعض أهل الدين بالزندقة كونه كان يؤمن بنظرية الميزا ن ويقصد بها القوانين الكمية العددية حيث عزى كل ما في الوجود

لتلك القوانين، وهذه النظرية توازي تقريبا نظرية آنشتاين النسبية فكانت نعمة له عند أهل الغرب نقمة عليه عند أهل الدين.
توفي عام ١٩٧ من الهجرة وكان قد سجن في أخر حياته ولا يعرف سبب واضح لسجنه.

أبو بكر الرازي
الكيميائي الشهير والطبيب والفيلسوف، له أكثر من ٢٠٠ كتاب ومقالة، وكان كتابه "الحاوي في الطب" قد هيمن على أوروبا وكان المرجع الاساسي لمدة ٤٠٠ عام.
كان أبو بكر يولي العقل أهمية كبرى وهذا كان متعارضا مع علماء الدين في عصره، كان حادا وصريحا في رأيه، وقد ألف كتبا ينتقد فيها الاديان وينفي فيها النبوة كمخارق الانبياء والعلم الالهي، ألا أن توجهه تجلى تجليا كاملا في مناظراته مع أبي حاتم الرازي
.
وكون تاريخنا العربي لم يطل الغوص في بحار هذه المشاكل العقدية، والتي أدت لقلة موارد المعلومات عن فلسفة أبي بكر الرازي وانتفاء أثر رسمي منه في هذا الشأن، الا أن ردود الخصوم عليه وايرادهم لشبهات أبي بكر قبل الرد عليه ساعدنا في لم شتات بعض المعلومات من هنا وهناك عنه.
ولم تكن الردود في نظري لم تكن مقنعة لأحاد الناس فكيف بفيلسوف كأبي بكر!

نفي النبوة

كان الرازي نافيا للنبوة ولا يعتقد بذلك وقائلا بقول البراهمة و سنوجز أهم ما قال: "أن العقل يكفي وحده لمعرفة الخير والشر فلا مدعاة لارسال رسل من الله لهذا الغرض، وأن الله رزقنا وزيننا با لعقل لنبلغ به من المنافع العاجلة والأجلة غاية مافي الجوهر لنيله وبلوغه، وأن أعظم نعم الله علينا وأنفعها هي معرفتنا للخالق وذلك أعظم ما استدركنا وأفضل ما أصبنا، واذا كان هذا هو مقداره (يع ني العقل) ومحله، فحق علينا أن لا نحط من قدره، وننزله عن منز لته، ولا نجعله محكوما وهو الحاكم".

ونستطيع أن نستنتج من هذا الخطاب أن أبا بكر قد هدف الى ا بطال النبوة خاصة عند ذكره فضائل العقل وعدم تقبل وضعه محك وما خلف نبي أو غيره، وزاد في التوكيد على ذلك أن الخالق علم وعرف بالعقل فلا حاجة لرسل لتوضيح هذا الامر.

ومن ثم انتقل الى نقد الاديان وهذه نتيجة طبيعية كونه ينكر الأن بياء الذين أتووا بهذه الاديان، وكان نقده شاملا للاديان الاربعة (ا لاسلام – المسيحية – اليهودية – المانوية) منتقدا الاختلافات التي بينها رغم كونها من مصدر واحد، وكذلك انتقد الكتب وكمية الاسا طير المتشابهة في هذه الكتب الدينية، ولكنها مختلفة في قصصها، ونقض هذه الكتب بعضها بعضا .

ابن الراوندي..

أحمد بن يحي بن اسحاق الراوندي، أشهر من وصف بالالحاد ف
ي التاريخ الاسلامي وأعتاهم.

كان مؤمنا بوجود الله كبقية من وصفوا بالالحاد وأتهموا بالزندق
ة هنا، لكنه لم يكن يؤمن بالنبوة حاله مثل حال أبي بكر الرازي و
حجته نفس الحجة، وكانت لديه حجج وشبه قوية.

كان ابن الراوندي متقد الذكاء ، وقد زلزلتني حجة من حججه
حيث قال: كيف للملائكة والمسلمين الذين شاركوا في بدر وبهذه ال
قوة الكبيرة أن يقتلوا سبعين شخصا فقط؟ فهل الملائكة كانوا مغلول
ي الشوكة قليلي البطشة على كثرة عددهم واجتماع أيديهم وأيدي ا
لمسلمين؟ وأين كانوا يوم أحد؟

ومن وجهة نظري، الحكمة من نزول الملائكة كانت لرفع معنو
يات المؤمنين في بدر أولى المعارك بالنسبة للاسلام، وكان من الم
هم أن ينتصروا، وبحكم أن عدد المسلمين الذي يبلغ ٣٠٠ أمام عد
د المشركين الذي كان يبلغ ألفا وبضعة جنود وهم بذلك يبلغون ض
عف عدد المسلمين ثلاث مرات، فلو قتلوا كلهم لسفه هذا الانتصار
وعد أسطورة لا أكثر، فكيف بجيش قوامه ثلاث مئة يهزمون ض
عف عددهم ثلاث مرات.

وأيضا لم تكن العرب لتدخل في دين الاسلام كون العرب كانوا
يعظمون الرحم، وهؤلاء في إبادتهم سيعتبرون قاطعين للرحم أي
أخلوا بأهم مبادئ القيم عند العرب آن ذاك، فكان مقتل سبعين وأسد

ر سبعين بمجموع مئة وأربعين ما يساوي ٤٨% من قوة المسلمين انتصارا عظيما ومقبولا لمن عاصر ذلك الحدث أو من آتى بعده.
والله تعالى يقول في سورة الانفال التي تسرد ما حدث في معركة بدر {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} "الأنفال".
فلم يشر الله الى قتال الملائكة بأي شكل، وقد كانت معركة بدر منّه ومنحة من الله سبحانه وتعالى أكثر من كونها انتصارا عظيما فالله قد قلل أعداد المشركين في أعين المسلمين، وألقى في قلوب الكافرين الرعب .
فلم تكن الاحداثيات التي نستطيع أن نصف انتصارا ما بالعظيم تنطبق على بدر، فالله سبحانه تعالى قد منّة علينا بذلك وقوله جل جلاله {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } كون الاحداثيات تؤكد لنا صعوبة الانتصار لكن الله أراد ذلك وأيضا يقول تبارك وتعالى في سورة الانفال {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.
ولذلك نستطيع أن نقول معركة بدر كانت منحة وفضلا من الله سبحانه وتعالى، ولم تكن انتصارا عسكريا عظيما وأن مشاركة الملائكة كانت لاجل الدعم المعنوي، لا لأجل القتال فالله سبحانه ذكر بامداد المسلمين بالملائكة واتبعها بأن ذلك للبشرى ولتطمئن قلوب المؤمنين، الا أن المفسرين قد اجتهدوا وربطوا بين الاحاديث والروايات ربطا عكسيا بحيث جعلوا القرآن هو المفسر للروايات والاحاديث!

والمعايير معكوسة ان سلمنا بقتال الملائكة مع المؤمنين فبجانب تفوق الملائكة وتميزهم عن بني البشر لدينا فرق شاسع يميل الى المسلمين بقرابة ١٣٠٠ مقاتل مسلم مقابل ألف وبضعة جنود من المشركين، ما يعني أن انتصار المؤمنين أمر مفروغ منه وليس بانتصار عظيم بل أن قتل سبعين وأسر سبعين يعد انتصارا للمشركين فهم خرجوا بأقل تكلفة ممكنة كونهم أقل عددا، وكون هذه النظرية تستند الى الايمان المطلق لا البحث والتمحيص، ومع أنها الأكثر حضورا في الكتب وعند العلماء الا أنها ليست مقنعة أبدا وأيضا تمهد لنظرية الشعب المختار كاليهود أو الفرقة الناجية ما يجعلنا أكثر تعصبا لمذاهبنا أو طوائفنا التي تكون هذه القصة من أهم أركانها.

بينما في معركة أحد فقد زالت الحكمة التي كانت تكمن في تثبيت المؤمنين ورفع روحهم المعنوية كونهم أنتصروا وأصبحوا أكثر ثقة في أنفسهم، وكلنا نعرف سبب خسارة المسلمين في تلك المعركة وهو سبب عسكري بحت، استغله خالد بن الوليد وهذه الخسارة تؤكد أن الملائكة في يوم بدر نزلوا لتثبيت المؤمنين لا للقتال.

ملاحظة

كلنا نعرف الدور الكبير لكل واحد من هؤلاء العلماء في تاريخنا العربي والاسلامي، وقد ذكرنا من أتهموا بالزندقة في تاريخنا دونما تكفير لهم، ويجب علينا حفظ فضلهم ومكانتهم واحترام أرائهم.

فهم ساروا في درب البحث فمنهم من وصل ومنهم من أنقطعت به السبل، لذلك علينا أن نعرف مقدار علومهم وأن نعرف أن الزندقة لم تكن تعني الكفر دائما فكانت تستخدم لأغراض أخرى، و

كانت سهما في يد الحكام يرمونه على من يريدون، أو كانت بدافع الحسد والبغض كحالة الحلاج ، وأيضا هؤلاء كانوا أحرار في فكرهم، وهذا الدرب يعتبر مضادا للعقل النصي الذي لا يعرف الا النصوص لكي يتعامل معها وبالتالي كان من الطبيعي أن يطلق عليهم زنادقة.

وهم على أي حال أفضوا الى بارئهم وليس لنا عليهم سلطان في تقرير مصيرهم لكن لنا الخيار في الاستفادة من ارثهم المعرفي.

...

نظرة على
البيئة العربية

مفهوم الدين

أعتقد أننا بوصولنا الى هذه النقطة قد علمنا أن الأنسان هو علة الدين وأن الأديان أتت لمصلحته لا العكس وبهذا سنستبعد كل شيء يؤدي الى الأيذاء بالانسان بمعناه الجامع .

فالانسان لا يختصر بالاسلام أو بأي ديانة أخرى ، هو الأنسان صاحب الحرية في اعتقاد مايراه مناسبا وهذا يتعارض مع الأصولية التي تأتي دائما بعد الأنبياء .

حيث أن الأنبياء لا يمكن أن يكونوا أصوليين فلا وجود لحرف يسبقهم ليتبعوه ولذلك يكونون منفتحين عكس كل من يأتي بعدهم .

فعيسى اللذي يقول : " باركوا لاعينيكم وأحبوا أعدائكم " هو ذاته اللذي باسمه قتل الكثير في محاكم التفتيش .

وأيضا محمد اللذي يخاطبه الله { ولا تذهب نفسك عليهم حسرات } هو ذاته اللذي أستعمر باسمه الكثير من البلدان وقتل خلق كثير .

فالأصولية هي المورثة للراديكالية والتي تورث تعصبا مضادا ، فأكثر ما يبعد الناس عن الأديان بعض معتنقيه ، حيث أن حياتهم سوداوية ويريدون تعتيم حياة الاخرين أيضا .

فنرى الأديان تحاول أن تغلق القوس أمام الغير فلا تتعايش معه ويكون منطقها منطق كيركجارد "اما أو " فيصبح الدين عبارة عن تعصب لبعض الأفكار فترى الكثير ممن يؤمنون بوجود اله يتم الحكم عليه بالهرطقة من قبل الكنيسة كابرونو وجاليله أو الزندقة كالحلاج مع ايمانهم الكامل بالمشرع وهو الاله .

فمن الواضح أن من يلعب دور الاله ويرى أفكاره كأفكار الله و لا يضع مسافة كافيه وبين الاله ما ينتج لنا دينا عنيفا أساسه التعصب .

فالبروتستانت والكاثوليك والسنة والشيعة وغيرها من الفرق الدينية التي كانت أو مازالت تتحارب ، لا تتحارب لأجل المشرع و لا لأجل نبي بل لأجل فهم شخصيات لم تضع بينها وبين الله مسافة .

يجب أن نفهم أن الأديان شرعت لأجل الأنسان والعبادة تكمن في العدل والأحسان وتنقية النفس من الشوائب فالصلاة والزكاة أعمال ليست صالحة بذاتها بل لغيرها حيث الأولى تنهى عن الفحشاء والمنكر والثانية تطهر وتزكي النفس .

ولو تأملنا الأديان لرأينا الأساس متشابه كما أشار العظيم مهاتما غاندي بحيث على الأنسان الأهتمام بتنقية النفس فيما يصبح الدين بعد الجيل الأول تعاليما حرفية تضيع معها روح الرسالة .

العبادة ليست صلاة فأنت لا تعبد الله حين تصلي بقدر ماتطهر نفسك لكي تبتعد عن الفاحشة ، وأنت لا تعبد الله حينما تزكي بقدر ما تطهر روحك ولكن حالما ينقى قلبك ولا تعرف حقدا أو غلا هنا أنت تعبد الله .

العبادة شكر لله على عطائه ولكل انسان طريقته في الشكر والله خلق الناس جميعا وهو أعلم بأحوالهم فلا يحق لفلسفة أو فكر أو دين أن تصنف الناس ، حتى الأسلام حينما أتى أكد على أن التقوى هي الفارق ولا أحد يعلم بها الا الله .

ولهذا فمن الخطأ ان تكون أصوليا ، ومن الفشل أن تكون أصوليا ، فالأصولي يرى رسم الكلمة ويتغاضى عن معناها .

والتشدد والتعنت ليست من صفات الأنبياء فلا عيسى كان يكره لا عنيه ولا محمد انتقم ممن أخطأوا في حقه ..

الراديكالية ....

مشكلة الأنسان تكمن في ما بعد الفكرة ، فيما بعد الرسالة ، فصد رخة ماركس " ياعمال العالم اتحدوا " تختلف عن صراخات ستالين أو ماوتسي يونج ، فالأولى وصلت الى القلوب فيما الثانية لم تـ صل الا بالسلاح وفي النهاية اختفيا عن الأرض .

الانسان يكره العنف لا يعيش في وسط الدمار بل يحول الدمار الى عمار .

فأصولية الدين التي تنشأ في مراحل متقدمة تنتج الراديكالية كونها تعمد الى الحرف لا المعنى .

الراديكالية من جنس مانوي معنا أم ضدنا لا وجود لأجوبة أو مسافات أخرى ، حتى الاله يرونه حاضرا في جانب وغائبا عن الـ جانب الأخر فيقتلون ويستبيحون في أي جانب يخلون منه الاله .

فالانسان يحب من يخاطب مشاعره ووجدانه لا عقله وهذا سلا ح المتشددين في تجنيد من حولهم .

فمن الواضح أن الموروث الأسلامي يحمل بين دفاته تحريضا على قتل المخالف واقصائه ومعادة غير المسلم .

ولكن النبي محمد حينا سأل أن يتم اهلاك أهل الطائف رفض و دعى لهم بخير ، وحينما أتهم في عرضه لم يقطع الألسن رغم أن ا لسلطة بيده ، حتى أن القرآن يسجل ما قيل للنبي كتلك {ليخرجن ا لأعز منها الأذل } وغيرها من الوقائع التي واجهها النبي ناهيك ع

ن اتهامه بالسحر والكذب ولكن مع هذا كان القرآن يخبره بالاعرا
ض والصفح وترك الجاهلين .

ولكن واقع الاسلام اليوم لا ينتمى الى هذه الأخلاق الرفيعة ، حـ
يث أصبح المسلم فزاعة تخيف العالم من حوله ، يفجر هنا ويختط
ف هناك ويقتل هنا والخاسر هو المسلم المسالم .

لم يكن النبي ينتصر لنفسه وهذا حديث قيل فيه بجانب أحاديث
تؤكد قتله لشاعر وامرأة ولا أحسب انسان عظيم كمحمد بأن يقتل
وينتقم لنفسه فلو فعل ذلك لما عفى عن أهل مكة وأهل الطائف .

وهذا التناقض في الموروث يقودنا الى النقطة القادمة وهي ..

الموروث الديني

الموروث الأسلامي هو سبب تأخر المسلمين اليوم .

فتقديس غير المقدس من الأعمال البشرية والأراء والتأويلات
جر الدين الى مالا يحمد عقباه .

فالأسلام اللذي كان رحمة للعالمين غدا دينا قوميا يعرف أبنائه
بأمة مقدمتا الهوية الدينية على الهوية الشخصية للفرد وهذا كذب بـ
واح على الحقيقة .

فمشاعر الكراهية التي تم التأسيس لها والقتل والاستعباد والجوا
ري ليس لها مكان في شعارات محمد التي تدعو الى العدل والأحـ
سان والمساواة .

فالعدل والمساواة ونصرة المظلوم هي أركان للدين لا الصلاة
والزكاة وغيرها من الأعمال التي لا تكون خيرا لذاتها بل خيرا ان
دلت على خير .

فتحويل الدين من شعارات كأهمية العدل الى الصبر على الظلم ان
كان الحاكم مسلما مع تعريف المسلم بأنه من يصلي أمر يستحق الوق
وف والتفكر .
فالاسلام اللذي حرر بلال نراه هو ذاته اللذي يرفض صلاة العبد اله
ارب حيث يقف هنا مع أمية بن خلف ضد بلال ! .
والاسلام اللذي أنقذ الانثى من الوأد نراه يحول الأنثى الى ساحة لا
ستمتاع الذكر في الدنيا والاخرة وبشكل سافر حتى أن السيد يستطيع
أن يأجر جاريته في فعل لا يختلف أبدا عمن يعمل في مجال الغواذ
ي ! .
مقارنة بسيطة بين شعارات الدين الأساسية وشعاراته اليوم تكشف أ
ن الأسلام ليس الا تقديس لأطروحات وتأويلات بشر وأن اسلام محـ
مد لم يبقى منه الا القليل والقليل جدا .
حتى أن القرآن اللذي يقول بجلد الزانية والزاني يتم الالتفاف عليه وا
لقول بالرجم بطريقة غريبة .
حتى حرية الأعتقاد التي شرعها الاسلام لم تعجب ولم ترقى لذائقة ا
لمتعصبين فشرعوا حد الردة .
فهل يعقل أن أرد كلام الله لأجل كلام انسان ؟
اذا مالفائدة من حفظ الله للقرآن ان كانت الأحكام تستقى من منبع أخ
ر ؟
ان كانت الخطوط العريضة تضعه الأحاديث وليس القرآن ؟
فراديكالية الأسلام تكاد لا تجد لها جذرا في القرآن فيما جذورها تكمـ
ن في الأحاديث وأراء بعض العلماء .
وأين موقع الأنسان في الاسلام ؟
فالاسلام كان قد رفع شعرات أخلاقية وساوى بين البشر وخاطب
العقل بالحجة بدلا من المعجزات التي لا تخاطب العقل في أشا

رة الى مكانته ، أصبح لا يتم الأحتكام الى عقله بقدر الأحتكام ا
لى سلسلة من الأسماء .
فيما العصبية الدينية التي تسحق الاستقلالية جعلت الانسان يقتل ا
لأخر بدم بارد دون محاولة اعادة النظر في فعله ! .
يجب اعادة النظر في الموروث الديني ، فان أستمر هذا التراث
كما هو فحتما سيحدث انقراض ، اما للدين واما للأنسان وقبل هذ
ا الانقراض ستحدث كوارث سيدفع ثمنها الفرد المسلم المسالم .

الأعلام

يقول غوستاف لوبون أنه صعب بمكان تغيير خصلة خلقية في العقل الجمعي للمجتمع ، حيث أن لكل مجتمع صفات يتشاركها الأ فراد ولو بنسب متفاوتة ، وهنا تكمن لعبة وأهمية الأعلام .

فالمناخ العلمي الأوروبي بدأ من الهالة العظيمة التي كونت حو ل المفكرين والعلماء في عصر التنوير ما شجع الناس على التعلم والأبناء على السير في خطى العظام وهكذا يكون الأعلام شريكا في النهضة .

وللأعلام أداب مهنية ورسالة يتكفل بها ومهمة ارتقاء بالمجتمع والتنبيه على ما اعوج فيه ونقد ما يحتاج أن ينتقد ليكون جزء فاع لا في المجتمع .

وكما أن الأعلام من أسباب التقدم كذلك يكون من أسباب التخل ف ، فحينما تغيب المهنية والانتقاد ولا يكون للأعلام دور اصلاح ي ، هنا سيكون عالة على المجتمع .

فالعالم العربي يعاني من نقص في العقول المفكرة فيما يكتفي با لغثاء اللذي يعاد تخريجه يوميا .

فالربح هي الرسالة الأهم للأعلام العربي ما شكل عقلا جمعيا متناقضا قد يصدق الشيء ونقيضه دون أن يشعر .
فالكلمات بلا معاني مجرد متواليات كما أشار لودفيغ فيتغنشتاين حيث اللغة مظللة وهنا تكمن أهمية الأعلام ومهنيته .
فان كانت هناك نهضة ترجى في عالمنا العربي على الأعلام أن يكون شريكا فاعلا فيه والا فلن تتغير الأحوال ما بقيت اللغة وظلالها حيث يتكئ الاعلام .

العادات والتقاليد

العادات والتقاليد هي مجموعة صفات أو أعمال يتم توارثها جيلا بعد جيل ، وغالبا لا تخضع الا معيار المنطق ولا العقل كونها من المسلمات التى ينشئ عليها الفرد ويتم تعزيزها من قبل المجتمع .
وتتأرجح هذه العادات دائما بين القبيح والحسن ولكنها تختلط مع بعضها كونها لا تخضع الى العقل والمنطق .
والعادات والتقاليد عامل خطير جدا على الفرد كونها تمثل أكبر قيد يقيد الفرد ، فأهم الاشكالات التي واجهها الأنبياء والمفكرين كانت مفهوم العادات والتقاليد .
فبعدما زلزل ابراهيم منطق قومه حينما هدم أصنامهم وقال أن كبيرهم هو من فعل ذلك ، عاد كل فرد منهم يعرض العادات والتقاليد للمنطق والعقل ، ففرح ابراهيم لنجاح مهمته ... ولكن !
عادت العادات والتقاليد الى السيطرة عن طريق " هل كان آبائنا على خطأ ؟ " فقذفوه في النار !.

ومرت الايام وفارق لوط ابراهيم وذهب الى مجموعة قرى تـ سكن بالقرب من البحر الأسود ، فكانوا يأتون الفاحشة بطريقة لم يـ سبقهم اليها أحد ، ولكن الطامة أنه لا أحد منهم استنكر ذلك ، فقلب لوط نظره متسائلا {أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ } " هود (٧٨)" .
وكذلك كان ردة فعل قوم شعيب حينما نهاهم عن تطفيف الميزا ن ، وقوم صالح وقوم هود ، كلهم آثروا السلامة على التفكير .
فالعادات والتقاليد غالبا لا يتم عرضها على العقل ، ولكن تأتي أهميتها من حاجة الفرد الى البقاء في كيان يحميه ، فيفرض عليه هذا الكيان معتقداته وعاداته وتقاليده ويلزم بأن يقبله كون ضريبة ا لنقد هي الابعاد اللذي هدد به لوط وشعيب ومحمد .
فسلطة الأموات تتحقق من خلال العادات والتقاليد ، فقد ترى مـ ن يفتح فتحة قرب عينه وأخر يخرق أذنه وثالث يبتر عضوا ورابـ ع يضع رباطا على رأس مولوده ليخرج لنا كائن كأتلا الهوني ، و على الرغم من الأضرار والالام التي يتكلفها المرء ، فانه يستصغ رها أمام اندماجه في المجتمع والبقاء كفرد مطيع ، كون هذا يوفر له حماية وآمن أكثر من بقائه منفردا .
وعلينا أن نعيد عجلة الزمان الى الوراء ، الى الأنسان البدائي ا لتي كانت الأخطار تحيط به من كل الجهات ، فكان التواجد في مجـ موعات يوفر أمنا وطمأنينة أكثر من التواجد بشكل منفرد .
وشيئا فشيئا تم التزاوج بين هذه المجموعات ومن ثم الاستقرار في مكان معين ، ومن ثم وضع قوانين في هذا المكان وتعميره وتـ وفير الغذاء وكلما زادت الاحتياجات زادت أهمية التوسع وذلك يكـ ون بالاستيلاء على أراضي المجموعات الأخرى وهكذا .

ولذلك كانت مسألة التواجد على نحو مجموعات مسألة مهمة جدا للفرد فيفعل كل شيء حتى لا يقذف لمجابهة مخاطر الحياة لوحده ، فكان لزاما أن يذوب الفرد في المجتمع .
ولو تأملنا حال المجتمع القرشي وسائر القبائل العربية قبل بعثة النبي نراها تطابق حال المجتمع البدائي فكانت مهمة الرسول شاقة و صعبة لتغيير هذا المناخ البدائي اللذي يلغي وجود الفرد ولا يعمل عقله وتحكمه تقلبات المناخ لا القوانين .
وحالما وقف أمام العادات والتقاليد أتت سلطة الأموات لتشترك في تحديد رأي الأحياء ، ومن الغريب أن ترى اللاموجود يأثر على الموجود وهذا لا يكون الا عن طريق العادات والتقاليد .
فالحل يكمن في الانزواء خارج الجماعة مدة من الزمن ومن ثم العودة كما فعل كونفوشيوس وبوذا ومهاتما غاندي ومانديلا ، فعادوا الى مجتمعاتهم بأراء وأطروحات مختلفة جدا ومن هنا كانت عظمتهم .
والقرآن حطم سلطة الاموات والعادات والتقاليد ، وجعل الفرد مسؤولا عن نفسه ، فقبره لوحده وكتابه لوحده.
ثلاثين عاما قضاها النبي متعبدا بشكل منفرد في غار حراء حتى استطاع الانسلاخ من تأثير المجتمع والنمط عليه
فالافكار والصفات كلها تفقد رونقها حينما تحال الى عادات وتقاليد ، فكرم حاتم الطائي استحال تنافسا وحكم كونفوشيوس استحالت قيودا وأفكار أرسطو استحالت مسلمات أجبرت جاليله على التنازل عن بعض أفكاره !.
حتى الشعائر الدينية تفقد رونقها حالما تستحيل الى عادات وتقاليد ، فالصوم اليوم عادة أكثر منه عبادة كون الصائم تقل درجة انتاجيته على الرغم أن الصوم من المفترض أن يزيد من الانتاجية ، ويد

ؤدي الصوم الى تقلبات في المزاج رغم أن الصوم في الأصل يحـ
بب الابتسامة والهدوء والسكون للانسان .
وكذلك الصلاة ، فاليوم هي عادة لا عبادة فالسارق يسرق وهو يـ
صلي ويزني الزاني وهو يصلي ويقتل القاتل ويذبح وهو يصلي و
يكبر !.
فلم تعد تنهى عن الفحشاء والمنكر بل أصبحت مجرد نقرات في أ
وقات معلومة ، أو بصورة ايجابية تمارين رياضية وجدل في أين
نضع اليد وكيفية السجود والنتيجة صلاة بلا معنى .
أما الحج اللذي من المفترض أن يكون تجمعا لكلمة المسلمين ، نرا
ه اليوم مجرد أفعال وطقوس لها وقت معلوم لا أكثر ، وعلى الرغ
م من أن المسلمين من كل الأجناس يأتون الى الحج وهذا دليل عل
ى عدم أفضلية أحد على أحد وأن الاسلام رفع شعار التساوي بين
البشر ، سترى المسلمين يصنفون بعضهم ويسخرون من بعضهم
، وهم كالاعشى اللذي يعاير الأعمى !.

والعولمة اليوم التي نقف ضدها حاملين شعارات الهوية والخصو
صية ضدها ، هي نتاج طبيعي للتقدم اللذي نعيش تحت ظله .
فالفرد اليوم لا يحتاج الى جماعة معينة لكي يعيش كونه يستطيع أ
ن يعيش بمفرده ، أو يعيش مع أي جماعة أخرى كون السبب اللذ
ي جعل أبائنا يرفعون رايات القبيلة والعادات كان خوفهم من مجا
بهة مخاطر الحياة وحدهم ، فيما اليوم نحن نستطيع أن نعيش بمفر
دنا في أي مكان على هذا العالم .

فيما الذكريات الجميلة شيء والانتماء شيء أخر ، فالانسان كتلة م
ن المشاعر التي ترتبط بمواقف معينة هنا وهناك ، وحنين الفرد يك
ون لتلك المشاعر والافراد اللذين هم على صلة بها لا الى المكان .
حيث أن الربط بين المشاعر والمكان شيء بدهي كون كل حدث ي
جب أن يحدث فوق مكان وفي زمان ، ولكن الحنين يكون لكل ما آ
لفته النفس واعتادت عليه وتلك المشاعر الجميلة التي ترتبط بالمكا
ن اللذي أكون فيه لا اللذي كان فيه أبي ، وهذه النقطة فهمها الغر
ب فيما العرب مازالوا يرفعون الهوية والعادات والتقاليد وغيرها
وهم لا يعلمون أنهم متعصبون لا أكثر .
فالعولمة نتاج طبيعي للتقدم الكبير اللذي نعيش في ظله ، فالحاجة ا
لى الانزواء تحت مظلة العادات والتقاليد والقبيلة لم تعد تقنع أي ف
رد ، فالصيني اليوم باستطاعته اعمار افريقيا ، والافريقي بدعم از
دهار أوروبا ، فيما العربي يأجج العنصرية هنا وهناك مع أنه يهر
ول الى التمتع بمزايا النظرة الجديدة الى العالم .
فالعادات والتقاليد هي بمجملها أفعال وصفات بلا عقل أو أفعال و
صفات منزوعة العقل وبلا روح ، وسينفر منها الفرد بشكل متزايد
حتى يتركها في النهاية وهنا تكمن خطورة وضع الدين من العادا
ت والتقاليد للمجتمع ، فيتم تلقين الفرد الدين مع مجمل العادات الا
خرى.
ولذلك كان من السهل ادخال العادات وبعض المعتقدات الى الدي
ن من قبل البعض الذين لم يسلموا من لفحات ومساوئ هذه العادا
ت فأدخلت بعمد أو بغير عمد منهم كون دور العامة كان يقتصر ف
ي الانصات دون تفنيد، لذلك بعضها صبغت بالدين وبعضها فهم
ت خطأ من الاشخاص فربطت بالاسلام وهو عنه براء.

فالمسيحية الكثالوكية التي تؤمن بأن مريم رفعت الى السماء لم تستقي هذا القول من كتبها ، وانما من الموروث الشعبي اللذي جعل المجتمع البابوي يفكر فيها فاقتنع فوضعها من بدهيات الايمان !

وقس على ذلك كم هائل من القصص التي يتم تناقلها من جيل الى جيل حتى تصبح من المسلمات ، وعلى ذلك على الفرد أن يذعن لهذه الخرافات مهما حاول عقله أن يقف في وجهها .

.

الفرد والمجتمع

ان تكون فردا في البيئة العربية يعني أنك ستقذف من كل الجهات .

المجتمع العربي مجتمع جماعي لا يشجع على نمو الأفراد والمواهب الفردية بعدم توفير البيئة المناسبة لها ناهيك عن سلبية المجتمع وسلبية نظام التعليم .

فالتعليم الفردي شبه غائب عن المجتمع العربي ، وحب الأكتشاف وروح التسائل والنقد تطوى مع أخر ورقة في الأمتحان ما يجعلنا نخرج جيلا من الدهماء التي تحارب لكي تبقى في الحضيرة .

العلم أسمى ما في الوجود وليس شيئا نحصل عليه بقدر ما هو بحر ننهل منه حتى الممات، ولكن هذا المعنى للعلم يكاد يخفى على الطبقة المثقفة لدينا ، فالمثقف العربي هو مثقف غير فاعل في المجتمع أو مثقف مداهن لسلطة وبالتالي ليس مثقفا يعول عليه المجتمع .

وفي مجتمعنا العربي، لا وجود لقواعدأخلاقية واضحة حيث الخط العريض يكمن في عدم اثارة أراء الناس من حولنا ، فنحن مج

تمع تربى على العيب لا على احترام المبادئ الاخلاقية، وهذا يخلق لنا شخصية متناقضة، تكون على أعلى مستوى أخلاقي أمام الخلق، وعلى خلاف ذلك في الخلاء، وأيضا هذه التربية لا تنشأ مبادئ يتم السير عليها مهما كانت الظروف بل تخلق نسخا متطابقة في الفكر والحياة .

فهذا الشخص تراه متناقضا بين الأنا العليا كما يسميها فرويد وبين الضمير الاخلاقي اللذي لم يتم تنشئته بالشكل السليم ، فهو قد يكون ملكا أمام جماعته ، وشيطانا أمام أناس أخرين وهنا تعليق الحكم على الاشخاص لا على القضية يكون فعلا عنصريا ، فان كنت صادقا ساتصدق مع الكل وليس هذا دون ذاك.

والأسرة تربي الفرد بطريقة "افعل كل شيء شرط أن لا تجلب لنا العار" ، ولو قلت لأي أب هذا هو منطقك سيقول لا بالطبع ولكن عمليا هذا هو منطقه !.

وأيضا الخطاب اللذي يكرس الانا سواء أنا فردية أم نحن كمجتمع هي طريقة عنصرية وشوفينية بغيضة وان كانت مختلف الشعوب والحضارات قد عاشت هذه الحالة ، فاليونانيون كانوا يرون الشعوب الاخرى برابرة وكذلك الفرس والعجيب على أن العرب وعلى رغم أنهم كانوا في أخر درجات العالم أيضا كانوا يرون الاخرين أنهم عجم ويتفاخرون.

حتى أن الخطاب الديني يكرس ذلك اليوم ، حيث يشدد على وزن العرب والغرب ويدندن حول المسلم والكافر ومن ثم تضيق الدائرة الى سني وأباضي وشيعي ومن ثم الى مذاهب فقبائل ، وهذه ذات المشكلة التي واجهها النبي في بداية الدعوة حيث أن قوس قريش كان ضيقا فوسعه النبي على مصراعيه ليضم بلالا وعمارا .

فنحن اليوم نعيش الفخر القبلي ولكن بشكل متدرج يبدأ من المنزل وينتهي بالدولة .

والتعليم مجرد تلقين وحفظ ، لا مجال فيه للخيال والابداع والابتكار أما في المجتمع الغربي نرى عكس هذا ، فالطفل يتكلم ويتخيل دونما تضييق عليه، فلذلك رأينا الاختراعات التي لم يكن من الممكن تصور وجودها وها هي الأن بين أيدينا، كل الاختراعات كانت في الاساس مجرد تخيلات.

وقد أشار آنشتاين الى أن "الخيال أهم من المعرفة"، فمنع الطفل من طرح الأسئلة سيسلبه عقله ومنع الطفل من الخيال سيجعله مقلدا لا مبتكرا.

وأيضا التعليم في المجتمع الغربي هو نشاط عقلي أكثر من كونه تلقين، واستنتاجات وحث على القراءة أكثر من كونه حفظا.

فالمعرفة غريزة طبيعية عند البشر، ولكنها تقتل عندما يكون التعليم مجرد حفظ وتلقين ما يجعل الفرد ينفر من الكتاب والعلم، فالعقل يحتاج الى لياقة كلياقة البدن وهذا مايعمل عليه الغرب بالتدرج، فتكون جرعة العلوم التي تحتاج الى تركيز قليلة في المراحل الأولى وتزداد شيئا فشيئا حتى يصل الشخص الى ساعتين أو ثلاثة من التركيز.

والغريب أن أفلاطون تفطن الى هذا في ما يخص التعليم في مدينته الفاضلة فيما نحن لا نعرف عن هذا شيئا والى الآن ، فالطفل يلقن الدين والتعاطي مع أمور كالله والغيبيات منذ الصغر والذي بدوره سيحفظ دونما أي سؤال، فالطفل في مراحله الأولى يبدأ في جمع المفاهيم فقط لا بتحليلها، مايعني أنه سيتعاطى مع الله والجنة والرسول كمفاهيم لا أكثر.

وهذا هو الفارق بيننا وبين الغرب، في تربية الأطفال بل وفي النجاح والتقدم، فنحن نرسخ فيهم ثقافة الكبت، ونأمرهم وننهاهم، ونحصر اهتمامتهم فيما يريده الأب لا الابن.

ومن المستحيلات أن تتحمل العقلية "العربية" الانتقاد أو الحوا ر كونها تفكر بطريقة مانوية فأما أن أكون على الصواب وأما أن أ كون مخطئا وضريبة الخطأ في المجتمع العربي كبيرة ما يجعل ا لأنسان يحاول تمثيل دور الملك الكامل وهو لا يقدر على ذلك .

وجسم الانسان مكان لصراع أزلي بين العقل والنفس، فالعقل يق رر بعد النظر الى السلبيات والايجابيات والصواب والخطأ، فيما ال نفس تتحرك بالغريزة دونما اهتمام لمقدار الخطر الذي قد يصاحب هذه الأعمال.

والعقل ينمو ويتطور بتزويده بالعلوم والمعارف، فتزيد من قدر ته على التحليل والاستنتاج، فيما النفس تزوّد بالدين ليكون كالدرع أمام شهواتها الغير متزنة وانفلاتاتها الغير مدروسة.

فالتوازن بين القوة العقلية التي تكمن في دقة الاستنتاج والملاح ظة والتحليل السليم للمواقف، والعافية النفسية التي تكمن في الوقو ف أمام الشهوات الغير مبررة وتنمية الأخلاق الحميدة، تنتج لنا شخصا حكيما ناجحا في حياته العملية والعلمية والاجتماعية.

وأما ان وجدت هوّة واسعة وتقدما كبيرا للعقل على النفس فهذه التركيبة قد تنتج لنا عالما ناجحا في حياته العلمية والعملية فاشلا ف ي حياته الاجتماعية لعدم تنمية الرادع الديني والأخلاقي أمام شهو ات النفس.

وان كانت الهوّة واسعة بين النفس والعقل، سنرى شخصا يفسر الأشياء والحوادث بتفسيرات غير منطقية ناتجة من قصور في الا دراك والتحليل فيتجه الى التفسيرات المنبثقة من النفس التي تسيط

ر عليها المعاني الدينية التي حفرت كمفاهيم منذ الصغر بشكل كبير، فتراه يصدق الخرافات لا يفرق بين المعقول واللامعقول ويكون شخصا فاشلا في حياته العلمية وقانعا بسوء حياته العملية مرجئا هذا الى القدر ومشيئة الله دونما أدنى محاولة لتطوير النفس!

وهذا النوع نراه من حولنا في مجتمعاتنا العربية، فترى الطفل الصغير يلقن منذ الصغر بأن المطر ينزل بمشيئة الله دون ذكر الكيفية العلمية ،وأن الكسوف والخسوف آيات تدل على غضب الله دون ذكر التفسير العلمي لهذه الاحداث،و أن النجاح والتوفيق بيد الله دون ذكر أهمية العمل.

بل أن موروثنا يفصل السبب عن المسبب بشكل غريب جدا ، فالموروث يقول أن النار لا تحرق القطن بل الله يخلق الاحتراق فيها وبالتالي لا وجود لرابطة بين الاحتراق وبين النار !.

وقد نقبل هذا من شخص لم يواكب التطور ، فالاحتراق نتيجة حتمية للحرارة التي تصدر من قبل النار وبالتالي تؤثر في ذراتها التي تزيد سرعة حركتها واحتكاكها حتى يحدث تغيير في المادة ، وقس على ذلك السكين حينما يقطع.

وأيضا هذا سيقودنا الى أن الله يخلق الشر حالما يموت شخص جراء مرض معين فالرابطة بين الموت والمرض لا وجود لها وبالتالي الاله هو المتسبب وهذا خطأ كبير ! .

فالله خلق المادة وعوامل ان توفرت ستؤدي الى نتيجة معينة ومعروفة ، وحينما يتدخل الاله يكون التدخل في هذا الحيز وما قول الله { يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } " الأنبياء ٦٩" الا دليلا على أن الله أوقف العوامل التي تؤدي الى النتيجة الحتمية وهي الاحتراق ، ولو كان السبب لا يرتبط بالمسبب فلا نار ابراهيم بمع

جزة كونها لا تستطيع أن تحرق قطعة قماش من الأساس ولا عصد
ا موسى ولا غيرها من المعجزات !.

ولا نشك في أن هذه الاحداث كلها من آيات الله، لكن لها أسباب علمية ، ومعرفة ذلك يعطي النفس قوة لمواجهة شهواتها واستحد ضارا لله دائما، فيما لا يضيف للعقل أي شئ كون كيفية حدوث الـ شئ قد فسر تفسيرا أسطوريا لا يعتمد على أي دليل أو منطق، مما يشجع في تكوين هوّة بين النفس والعقل عند هذا الطفل الذي يكبر ويبدأ في تحليل المفاهيم، الا أن التفسيرات الخاطئة قد حفرت في ذاكرته وعقله الباطن فتغدو معرفة كيفية حدوث هذه المظاهر مقتد صرة على ورقة الامتحان ولا تترك أثرا في عقل هذا الشخص.

وتفسير المظاهر بهذه الطريقة يثبط العقل كونه ناتج من مفاهيم قد حفرت في النفس، فيكون هذا الشخص مؤمنا بهذا التفسير ولا يـ منح عقله المغلوب على أمره مساحة للتفكير في صحة هذا الرأي من عدمه، فتراه مجادلا لا محاورا كونه لا يملك أي استعداد لتغيي ر هذه النظرة، ومتعصبا لكل من يقول بقوله، ونابذا كل من يشكك في ذلك وان لزم الامر قتل الطرف الاخر، ويتجلى هذا في المتشد دين الذين يقتلون باسم الدين والله، مسلمين وغير مسلمين لم يشارك وا في الحروب، فالعقل ومنطق الحوار قد تعطّلا، وأصبحت النف س تمتلّك زمام الأمور فتسعى لتلبية رغباتها واثبات أقوالها بكل ط ريقة دون النظر الى عواقب تلك الطريقة.

وللأسف صورة الاله المشوهة لدينا الذي يعذب من لا يذكره، هي صورة حاكم شرقي من القرون الغابرة عمل على تثبيتها الوعا ظ اللذين جعلوا الله محتاجا الى عباده، وذلك بحثهم الزائد لناس عل ى التوسل والانكباب على الأخرة وترك الدنيا دون تبيان أن الأنسا ن خلق لدنيا وليس لكي يترك الدنيا .

وهذه الصورة للاله الذي يعذب كل من يخالف هذه العقيدة ولا ي
مشي بحذافيرها بل أن كعبك قد يحرق بالنار لأن الماء لم يصله، و
أصبحت بعض الأراء المجمعة عقيدة ترجح دخولك للدين أو خرو
جك منه بدل ايمانك بالله واليوم الأخر.

وعندما يبدأ ذاك الذي امتلأ عقله بهذه الامور بالمطالعة والبحـ
ث، سيشرع الى تقليل الهوّة بين النفس والعقل، فتراه ينبذ كل المفا
هيم الدينية ويعتمد على العلم اعتمادا كليا، وان لم يثبت بطرق الدر
اسة العلمية مفهوم ديني سيسارع الى نفيه، فيتحول الى الالحاد، و
هذه ضريبة تلك الفجوة التى كانت منذ الصغر.

وكان الاسلام في بداياته أقرب الى أهل العقول دون أهل الاهوا
ء، والله يذكر في كتابه { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْ
لِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ}،"فاطر ١٣" فهنا
سبحانه يذكر كيفية الحدوث مخاطبا العقل الذي يرى هذه الكيفية لـ
يساعده على التحليل والاستنتاج السليم ليصل الى الحقيقة ومعرفة
عظمة الخالق وهذا يمنح النفس درعا اضافيا لمواجهة نزواتها وشـ
هواتها.

وهنا تكمن جلّ مشاكلنا فهناك في مجتمعنا بوّن شاسع بين النفـ
س والعقل ما جعلنا مجتمع غير متعايش الا مع من يتطابق معه فـ
ي الفكر ومتعصبا له، وجعلنا مجتمع غير منتج علميا، يفاخر على
لا شئ وتستشري فيه الأنا والعادات والتقاليد.

ومجتمعنا يحيط بالوصايا الكاملة على الفرد ، فعليه أن يأمن بكـ
ل ما يأمن به المجتمع وأنغماسه بالعادات والتقاليد دليل على ولائه
، والبرهنة على أفضلية العادات والتقاليد وان كانت قد تضر كخر
ز الانف أو الأذن في المجتمعات البدائية أو تقديس حيوان وغيرها
من علة الأخر؟

لا يجب أن يتعرض الى النقد ، ويجب على الفرد أن يدوس على عقله ويغوص في هذه العادات كما غاص قوم لوط في عاداتهم فلم يتسائلوا ولم ينظروا وفي النهاية كلهم هلكوا !.

ولذلك غلبت الأنظمة القهرية على المجتمعات العربية كون الديكتاتور نتيجة طبيعية لكل مجتمع يتواجد فيه ، فنيرون كان النتيجة الطبيعية لكاليجولا اللذي خاف شعبه منه حتى وهو ميت ولم يعترضوا عليه وهو يعين حصانه في مجلس الشيوخ ، فكانت النتيجة نيرون .

ولذلك قال الله تعالى {انَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} "الرعد (١١)" نعم فالتغيير مرتبط بالفرد أولا ومن ثم التأثير على من حوله ومن ثم يكون الحاكم من هذا النسيج .

أما ان كان الأب لا معقب لكلماته في المنزل ، والمدير لا يرد له أمر والمدرس لا يقبل النقاش ، فالنتيجة المنطقية حاكم ديكتاتوري بالطبع .

وكما استعرضنا المجتمع اللذي يسحق الامكانات الفردية بالعادات والتقاليد تارة والموروث تارة ، قد يؤدي الى احتباس ينفجر الحادا بكل ما يمت لهذا المجتمع بصلة ، فيلحد انتقاما من المجتمع وكفرا بكل هذه الخرافات .

الاخلاق العامة

المبادئ الأخلاقية مرتبطة بالانسان، فكون الانسان انسانا فهو ذا مبدأ فالاخلاق لا تتجزأ كما قال أرسطو.

معرفة الخطأ أولى مراحل العلاج ،ولكن معرفة الخطأ يواجه ب
فهم ضيق لبعض الآيات مثل {كنتم خير أمة أخرجت لناس} ولكن
هل بالفعل نحن خير أمة؟ وماهي الاسباب التي جعلتنا خير أمة؟
ولكي نجيب يجب أن نعلم أن المعروف ليس اقامة الصلاة واي
تاء الزكاة بل معنى المعروف يكمن في الدعوة الى المبادئ الانسا
نية والتي هي الأخلاق الحميدة من صدق وكرم وعفة وعدل وغير
ها، فالمتصف بهذه الصفات بغض النظر عن دينه فهو شخص فا
ضل، ولذلك كل الشعوب التي تدعو الى هذه الأخلاق هي التي يك
ون النجاح حليفها والمجتمع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام
كان يتمتع بكل هذه المكارم لذلك كان مجتمعا فاضلا، فكما قلنا فك
ل من يتصف بهذه المكارم يعتبر شخصا فاضلا، ولكن ليس كل م
ن يصلي ويصوم شخص فاضل، فقد تراه مصليا وسارقا وقد يسر
ق في نفس المسجد الذي يصلي فيه.

وكون المعروف فسر بأنه الامر بالامور التي تكون بين العبد
وربه لا الأمور التي يستفيد منها المجتمع فكان طبيعيا أن ترى الم
جتمعات الاسلامية في الوقت الحاضر من أكثر المجتمعات خلوا م
ن المبادئ.

فالمعروف عندهم يكمن في الأمر بالصلاة والزكاة وهذا أشياء
حسنة لكن من المفترض أن تأتي من الشخص كونه سيحاسب عل
يها.

لذلك استعمل الله صيغة الماضي ليشير الى أن الصحابة كانوا
خير البشر عندما كانوا يأمرون بعبادة الله والى الأخلاق الحميدة و
ترك الرذائل عندما كانوا في مكة فكانوا خيرا لذلك كون الرذائل
كانت السائد في ذلك الوقت.

وبعد الهجرة لم يعد المعنى منطبقا، كون المجتمع أصبح مجتمع ا فاضلا فلم يعد هناك أمر بمعروف فالكل قائم به ولو بشكل متفاو ت.

الا أن المعروف تحول وبشكل غير مفهوم الى صلاة وصيام و زكاة ومع أن هذه الأفعال ليست خير بذاتها بل خير لغيرها حينما تؤدي الغرض كالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي .

فما معنى صلاة وانسان يظلم ويبغي على حقوق الناس ؟ ومامع نى الصلاة والانسان لا ينتهي عن الفحشاء قولا وفعلا ؟

فالمعروف لا يشمل تلكم الأفعال ،بل هو ما يكون بين البشر وأيضا بين البشر والكائنات الاخرى فالحفاظ على البيئة من المعر وف أيضا، ما يعني أن الأخلاق الحميدة هي المعروف المراد به في الاية.

ولذلك كانت الصيغة بالماضي كونهم كانوا يأمرون بالأخلاق والعمل واعمار الأرض في مجتمع سلبي لا ينتج وبلا هدف كحالنا اليوم ، فنحن نعيش جاهلية متطورة ! .

ونحن ننكر على اليهود قولهم أنهم شعب الله المختار ونتناقض م ع قوله تعالى {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} "النساء ١٢٣" الا أن نا نصر بشكل ضمني أننا شعب الله المختار.

وهذه الشوفينية ليست من الدين بل أضيفت اليه فالأسلام دين ر حمة للعالم ولن يكون دينا منغلقا .

ولقد أشرنا سابقا كيف أن المجتمع مسؤول عن تخريج الديكتاتو ر ، وأيضا هو المسؤول عن تخريج العنصرية والمحسوبية وكل ا لصفات السيئة ، كون الأب سيكون هو الملقن الأول للعنصرية وم

ن ثم تتوسع الدائرة الى الصديق العنصري فالمدرس والمدير الى ا لحكومة العنصرية .

ولو أردنا مثالا على ذلك سنستعرض ما حدث في جنوب أفريقيا من نظام فصل عنصري (الابارتايد) حيث كان يلقن من الاب الى الرئيس ، ولو كان لهذا النظام حسنة فستكون تخريجه للعظيمين مهاتما غاندي ومانديلا ، ولكن نحن لا نستطيع تخريج لا مهاتما ولا مادنيلا كوننا لا نعترف بوجود الاخطاء .

فالأخلاق وجدت مع وجود الانسان ووجود يوم حساب زاد في توكيدها وهي ميدان تطبيق لا تنظير حيث فشل جان بول سارتر في كتابة كتاب يتناول الأخلاق بشكل كامل ويشرحها كونها لا تنتمي لفكر أو لحقبة زمنية معينة بقدر ماهي متأصلة في الأنسان يعرف ويعرف أيضا الشر .

وعلى المجتمع العمل على الأخلاق الجمعية لهم ومحاولة تطويرها بالتركيز على الفرد أكثر ، حيث أن الأخلاق تكون نسبية من حيث المفهوم ومطلقة من حيث النتيجة .

الأنسان

الأنسان والتاريخ

ان حاولنا تمثيل تاريخ الانسان بتاريخ فرد واحد سنرى أننا نعيش في مرحلة الأربعين من عمره حيث يكون العمل والبذل هو السائد
.
فحينما كان الأنسان يفسر ما حوله بالتخيلات والقصص الأسطوري ة كان طفلا ، وحينما وصل الى مرحلة المراهقة بدأ في استعمال عقله فنبذ تلك التخيلات الطفولية وبدأ بحماس يثبت وجوده بتهور أ نتج اكتشافات وحروب عالمية .
وبعد أن نضج بدأ الأنسان يستفيد من ماضيه ولكنه لم يسلم الى الل حظة من النزوات التي تأتي هنا وهناك ومازال يتعلم ويتسائل ح تى يتطور ويجعل من حياته أكثر رخاءا لكي تناسب شيخوخته حيذ ما يتشبع حكمة ويبدأ في ذوق جمال الحياة ويستمتع به لفترة قصير ة وبعدها سيغادر .
وهذه النظرة ليست مثل نظرة بيركلي ووعي الأله أو ديالاكتيكية هيغل بل حتما لن يترك الأنسان الارض حتى يتعايش مع أخوته و يؤمن بالاختلاف .
فكل شيء لا يشجع على التقارب سيكون مصيره النبذ ، فهل نستو عب الدرس ام ننتظر حتى يلفظنا التاريخ الى العدم .

لا الأديان ولا الألحاد

أن أكون متدينا ليس حلا ، وأن أكون ملحدا أيضا ليس بحل .

ولكن أن أكون متدينا لكي أكون صاحب خلق وأسمو في هذه الحيا ة ، أو ألحد لأن فطرتي لم تتقبل هذه النسخ من الدين هنا سأكون قد وضعت يدي علي الحل .
لا يهم الاله أصليت في المعبد أم في عقلك ، المهم هو أن لا يخون قلبك .
لا يهم الاله أن تتوضأ قبل كل صلاة ، ولكن يهمه أن يصلي قلبك كل يوم .
لا يهم الاله أن تصوم كل يوم ، ولكن يهمه أن لا تترك صائما بلا أ فطار .
لذلك تخلو المعابد من الاله ولا يخلو القلب منه ، يبتعد القلب عن الـ معبد فيقترب من الاله أكثر فكلما ابتعدت من المعبد كلما أقتربت .
لا يهم من يسكن المعبد أن يعبد قلبك الله ولكن يهمهم أن يكون قلبك معبودا لهم .
لا يهم من يسكن المعبد أن تكون سندا للفقراء ولكن يهمهم أن تكو ن سيفا معهم .
ابتعد عن المعبد وساكنيه تجد الاله في قلبك ، فالاله يعمر القلوب ويتواجد حول الفقراء ويتجلى للمتأمل ولكن يفر من المعبد .
غضبوا على الحلاج بعدما صاح " سبحاني ما أعظم شأني " فهو يقصد قلبه ولا يقصدهم فويل له .
لا تبحر في كتب التراث بقدر ماتبحر في كتب القلوب فاللقلوب لغ ة لا يفهمها الا الله .
وتذكر كلما ابتعدت كلما أقتربت ....

لماذا..... وهل ...

الانسان كائن متسائل ، كائن يحب الاكتشاف ، وأسوء ما يحد
ث للفرد حينما يفقد خاصية التساؤل..

كما وضحنا أهمية التساؤل وخطورة الاعتياد ، كان لزاما أن ن
وضح كيف يكون التساؤل .

فالسؤال الفلسفي هو السؤال اللذي يستمر الى الأبد : هل الاله م
وجود ؟ ماهو الخير وماهو الشر ؟ مالعلاقة بين الكلمة ومدلولاتها
؟ هل هناك غاية من خلق البشر ؟ لما نحن هنا ؟ .... وغيرها من ا
لأسئلة الفلسفية التي أختلفت العقول فيها وحار المنطق حولها .

فيما المنطق عبارة عن طريقة لتنظيم عملية التفكير ، ولهذا فالف
لسفة تكمن في السؤال .

والقاء السؤال أهم من الاجابة بكثير كون السؤال يحدد اطار الب
حث ومن ثم لا يتبقى الى اكتشاف أفضل الطرق لا أكثر .

فنيوتن أجاب على تساؤلات يوهانس كبلر وجاليله ، فيما أفلاط
ون وأرسطو و ديكارت وسبينوزا وجان لوك وهيوم وبيركلي وبا
ركلي أجابوا على " ماهية المعرفة " ، فيما الرواقية والقورونائية
والكلبية والابقورية أجابوا على " ماهية السعادة " ، والاسلام والم
سيحية واليهودية وسائر الأديان قدموا اجابات على " لما نحن هنا
؟ " ، وقس على ذلك وأنظر حولك وحاول أن تستنتج السؤال لكي
تنظر في الاجابات ومن ثم تنتج لنا اجابة قد تضعك في مصاف الع
ظماء .

ان التساؤل مهم كما رأينا مع ابراهيم ومحمد وموسى عليهم الـ
سلام ، وكذلك التساؤل هو اللذي أخرج بوذا من قصره وأنهى زوا
ج كونفوشيوس وجعلهم يخطون خطوتهم الأولى الى العظمة .
فالتسائل أول خطوة يخطوها العظماء ، " لماذا لا أكون الأفضـ
ل ؟ "
أو " لماذا أقول بهذا القول ؟ "
أو " لماذا هذا يكون كذا ولا يكون بشكل مغاير "
، ومن هذه التساؤلات سينطلق الفرد الى العمل وعدم الالتفات ا
لى من حوله ومن ثم سيخلد .
التفاتة في قطار التفتها العشرات من البشر ، ولكن ما أن التفت
كائن متسائل بذات الالتفاتة حتى أخرج لنا النظرية النسبية " أنشتاي
ن " .
فقط نظر الى الضوء وهو يتباعد فتسائل ومن ثم أجاب !، انها
كمياء التسائل اللذي حملت سلمان الفارسي على ترك مجتمعه والبـ
حث والتعرض للمخاطر فقط لأجل الحقيقة ، حتى وقع عبدا ولم ينـ
كسر بل فرح حينما علم أن هذا سيقربه من مراده ، فأضحى أسطو
رة ومثلا يحتذى به في كيف يكون الانسان الحقيقي ، لا الانسان الـ
منقاد الى مجتمعه الصائح بكل ما يصيحون به .
ويجب أن نشير أنه علينا أن نعرف الى أين ينتمي السؤال لكي
نبحث عن الاجابة بشكل صحيح ، فان كان السؤال فلسفيا فحقل البـ
حث الفلسفة ، وان كان رياضيا فحقل البحث الرياضيات وان كان
فيزيائيا فحقل البحث الفيزياء .
قف على صفيح لحظة ديكارتية ، وأتبع البرهان واصنع ذاتك بـ
نفسك واستعد مفاتيح عقلك ممن سرقها منك .

الأكتفاء بالغموض
هكذا عبر عنها ميرلو بونتي حيث أن كل مالا يمارس يبقى غا مضا .
غموض كان سقراط يستهدف تبديده ويؤكد على أن المعرفة ه ي تبديد الغموض اللذي يتكأ عليه الجهل .
فان قلنا زهرة يخيل الينا أننا نعرفها مع أن الكثير يجهل كيف تـ زرع وماهي البيئات الصالحة لها وما الى ذلك حيث القليل من الأ حرف أحدثت لدينا وهما بالمعرفة .
فمن لم يقرأ عن الزهر يجهله ، ومن لا يعرف اللون الأحمر سيرى كلمة أحمر مجرد حروف مجتمعة وهكذا .
فالعالم اليوم يدرس مفردات كالزمان والمكان والحرية وغيرها فيما مجتمعاتنا ترى أن هذا تكلف فالزهر زهر والزمان زمان.
ومن هنا يتم أسر الأنسان من قبل الأفكار والاديان فيكفي ايهامـ ك باداء رسالة عظيمة حتى تستحيل الى أداة .
فالطقوس التي كانت مع الأديان كان هدفها انشاء هذا الغموض اللذي يحير العقل ويخاطب المشاعر .
وكذلك الأمر مع مفردات كالخلافة والعبادة والأمامة تكون مـ جرد متواليات حرفية ان يتم اعمال العقل فيها ومناقشتها ونقدها لتب يان حقيقتها وبطريقة علمية دقيقة .
بدد الغموض من حولك بالنقد ، لا تجعل كثافة السحاب تعميك عن الشمس ، لا تؤمن بما لا تستطيع أن تعمل عقلك فيه ، فمن يطلـ ب منك ذلك فهو يريد تحويلك الى أداة .

كن انسانا

كلنا ننتمي لجنس البشر ولكن من الصعب أن تجد انسان حقيقي ، ليست نظرة شاعرية سوداوية بقدر ما أن يكون المرء انسانا أمر يحتاج الى عزيمة وقوة وجهد كبير .

كانت عظمة العظام من أنبياء ومفكرين أنهم نجحوا فالعيش كا بشر.

فأن تكون انسانا يعني أن لا تتعصب ، أن لا تكره وتحارب هذا الشعور في قلبك ، أن تزيدك الأساءة حلما والصعاب قوة .

أن تعيش تحت مظلة أفكارك أنت لا أفكار أباك أو مجتمعك أو ديانتك .

أن تضع نصب عينيك مثلا عليا ومبادئ تسير في ضوئها وان أذى بريق الضوء كل من حولك تبقى أنت مستنيرا بهذه المبادئ .

أن تجعل لنفسك أهدافا تبلغها وقيمة تحققها في هذه الحياة وأن لا تكون رقما في معادلة المجتمع .

كن انسانا وستعرف درب السعادة والحياة ...

من زاوية أخرى ...

ومضة....

في خط سير الأنسان والأديان ، رأينا أن الأنسان هو كائن مؤمن بوجود قوى مفارقة له في الأصل .

وأن الأنسان القديم كان يحتاج الى الايمان بقوة مفارقة وهذا يدل على أن انكار وجود قوى مفارقة لم يعرف على نطاق واسع قديما حتى أن ديموقرطس آمن بوجود آلهة تتكون من ذرات لا تشبه تلك التي يتكون منها البشر .

وأيضا آمن ابيقور بوجود آلهة ورأى أن وضعها في منأى عن العالم تنزيه لها .

وهذا يقودنا أن الألحاد غالبا ما يكون ردة فعل على مجتمع أو على راديكالية الدين وأصوليته والتفاسير البالية له وعدم الأيمان بالأنسان كأساس في هذه الحياة .

ومع هذا سنتناول بعض الأشكالات كنوع من ابداء الرأي وليس كمعارضة لغير المؤمنين ومحاولة اعمال العقل في هذه الحجج .

حجة الشر

تكمن قوة الانسان في ضعفه!، وقد قالها سقراط من قبل أن حكمته نتاج علمه بجهله... كيف؟

ان تأملنا حولنا قليلا، نرى الانسان يحاول دائما أن يتغلب على نقاط ضعفه، فمثلا اخترع المركبات لكي يتغلب على بطئه، والطائرات ليصل بسرعة الى أماكن يتعذر عليه بلوغها، والمجهر لرؤية

أشياء لا تستطيع العين رؤيتها، والمكبرات لتوصيل الاصوات الى أماكن لايستطع الصوت الانساني بلوغها.

ما يعني أن الانسان تكمن قوته في معرفة نقاط ضعفه ومواجهتها ومحاولته التغلب عليها ومن هنا يفترق عن سائر المخلوقات الاخرى.

فلولا هذا الذي يسمى شرا لما كانت هناك حاجة لكل هذه الملكات ولما كانت لتتطور، فما الفائدة اذن من كل هذه الملكات؟.

فانسانية الانسان تتمحور حول ملكة الذكاء، وهذه الملكة تتطور باستمرار، ومع تطورها دائما ماينقص شر من هذا الذي نسميه شرورا.

في السابق كان الملايين من الناس يموتون بسبب الطاعون، ولكن اليوم لا أحد، وقبل لوي ياستور كانت نسبة نجاح العمليات ضئيلة ولكن بعده أصبحت شيئا أكثر أمنا .

فالكوارث هي السبيل الى تطوير ملكات العقل والذي بدء في الاستفادة منها، فالصواعق التي كانت تقتل سابقا، ها هي يستفاد منها في توليد الكهرباء، ما يعني أننا نستطيع في المستقبل بالحد من آثار الزلازل وهذا ماتقوم به اليابان وبعض الدول الاخرى، والابقاء على الاثر الايجابي الذي يكمن في اخراج المعادن من باطن الارض، وكذلك البراكين التي تعرف مواعيد نشاطها وثورانها، فلولا هذه المشاكل الطبيعية لما خرج لنا العلم الذي يتطور باستمرار ومع تطوره يحد من الاثار السلبية لهذه الاحداث ويحاول الاستفادة منها بأكبر شكل ممكن.

وتطور العلم فوصل الانسان الى القمر وقضى على أمراض كالجمرة الخبيثة والطاعون وغيرها.

ما يعني أن هذا ليس شر مطلقا، بل هو يطور من امكانياتنا أكثر فاكثر ما يجعل الحياة أكثر يسر وسهولة.

ولكن هل هناك شرور يتحملها البشر؟

نعم فلا مقارنة أبدا بين عدد القتلة الناتج عن الحروب والدمار وبين عدد القتلى بسبب الكوارث الطبيعية، فهذا هو الشر الأخلاقي كما أطلق عليه القديس أوغسطين ونتاج ما يفعله البشر بأنفسهم .

و ان كنت تتسائل لما الله لا يتدخل وهو يرى هذه الشرور؟

في البدء علينا أن نتفق اننا بشر وأن قوتنا تكمن في معرفة مقدار ضعفنا وكفاحنا هو التغلب على هذا الضعف، وان العلم أتى لاجل ذلك.

فالجيولوجي يدرس كيفية التقليل من الخسائر المتوقعة وكيفية تحصيل أكبر مقدار من الفائدة للظواهر الارضية كالبراكين والزلازل، وعالم الفلك يضيف لنا بين الفينة والاخرى معلومة جديدة عن هذا الكون الذي نحن فيه ويكشف الستار عن لغز لم يكن مفهوما من قبل، والطبيب لا يكل ولا يمل وهو يردي مرضا تلو الاخر من قائمة الامراض، هذه هي الملحمة الانسانية التي ستستمر الى أخر فرد من هذا النوع.

فوجود الشر كما يسمونه هو لتطوير ملكات العقل والتحفيز للعمل الدؤوب والتطلع الى غد أفضل.

ولكن لو كان الله يتدخل فلما أوجدنا بشرا بهذه الملكات الفكرية؟

ولما خلق هذه الامراض وهذه الاحداث اذا كان سيتدخل في النهاية؟

فالشرور تقابلها ملكة الذكاء والترابط بينهما عكسي، فكلما أرتفعت الملكة قلت الشرور، وهذا واضح اليوم.

فلو كان العالم بلا شرور، لبقينا بدائيين الى يومنا هذا، ولعشنا كالحيوانات لا أكثر، فليس هناك حافز يجعلنا نهدف الى التطور.

فكما أن بطئنا أصبح ميزة باختراع المركبات والفيضانات خير ا عند تحويلها الى كهرباء والصواعق أيضا، وهكذا نعرف أن ملكا تنا تتطور وأيضا أن هذه الشرور بدأت تصبح خيرا أكثر فأكثر، و هذا دليل على أن هذه الشرور ماهي الا حافز لملكاتنا لتتطور مايع ني أن هذا الاسم ليس بصحيح بالمرة.

وقد يقول قائل أن الله يستطيع فلما لا يتدخل ان كان يستطيع اما أنه شرير أو اما أنه عاجز!

كما أسلفنا هذه المشاكل الطبيعية هي المحفز الاول لتطور ملكات نا، فأن تدخل لذهبت الغاية، فيما الحروب والفساد هي من أفعال ا لعباد فان كان لابد وأن يتدخل، فما الفائدة من العقل وملكاته؟ والقيم والاخلاق؟

فان كان هناك تدخل في دار الاختبار بطلت النتيجة أي كانت، فيجب أن يتحلى كل فرد بالحرية الكاملة ليكون مسؤولا عن تصرف اته في الاخرة وعليها ستكون النتيجة اما جنة أو نار.

فانزال الغير على شروطنا نحن لا يأتي أكله بيننا نحن بني البشر، فكيف ننزل الله على شروطنا، فان فعل فهو موجود وان لم يفعل فهو ليس بموجود!.

ويجب أن نعلم أن ابيقور قالها ردا على منهج المدرسة الرواقية وأي شخص كان ليقول بقول ابيقور.

فالرواقية يقولون بنار أثيرية توجد في كل شئ وتتحكم في الكون من خلال العقل ، وهذا العقل حكيم كامل ولن يكون هناك حدث كان ليحدث بصورة أفضل ، مايعني أن الحكيم في النهج الرواقي

هو من ينسجم ويفهم مراد الاله، وأن هذا الاله دائما ما يكون خيرا
.
والان لو أردنا أن ننتقد الرواقية سنقول " ماهي الصلة التي تر
بط العقل بالنار الاثيرية ؟ وان كان هذا الاله خيرا ؟ فمن أين أتى ا
لشر ؟ وان كان الاله يعلم بوجود الشر ولا يريد تغييره فما الفائدة
منه ؟ وان كان عاجزا فلا حاجة لنا به ؟ وان كان لا يريد التغيير ف
هو شرير ولا حاجة لنا به .
فالرواقية كانت فلسفة جبرية وتقول أن كل شيء حدث بأفضل
طريقة وأن الاله لا يحدث الا خيرا ولم يفسروا الشر بل قالوا أن ا
لمرض والصحة للانسان سيان ولكن الفرق يكمن في التوقيت والا
حتياج ، بمعنى أن المرض والصحة كمفاهيم متساوية ، ولكن التوق
يت والاحتياج هو ما يقسمها الى خير وشر.
وهذه اجابة ذكية جدا من الرواقيين وقد ردوا على ابيقور برد ب
ليغ ، فالمرض والصحة كمفاهيم مثل المال قد يكون خيرا على
صاحبه ان أستعمله بشكل جيد وقد يكون شرا ان استعمله بشكل سل
بي فيدخله السجن لانه مديون ولا يستطيع الدفع ، فهل المال خير
هنا أم شر ؟ وقس على هذا .
ما يعني أن المفاهيم من حيث هي ليست سلبية ولا ايجابية بل ن
سبية ، ولكنها محكومة بالمتعامل معها (الانسان) المحكوم بالتوقي
ت والاحتياج، ولكن نتائجها مطلقة .
فالكذب كمفهوم قد يكون خيرا أو شرا و الصدق كذلك فقد ينج
ي الكذب من الموت المحقق فيما الصدق يهلك، فالمفاهيم من حيث
هي تكون نسبية ، فيما تكون نتيجتها مطلقة حالما يتعامل معها الا
نسان ، فان عممنا الفعل كما قال كانط سنرى أن نتيجة الكذب وخ
يمة في الغالب ، فيما نتيجة الصدق حميدة في الغالب .

وعودا على بدء، فما يطلق عليه شر هو المحفز الرئيسي لتطو ر الانسان وملكاته العقلية، وعلى ذلك تنطبق مقولة هيراقليطس " الخير شر يزول ".

فهذا الكائن الذي يجعل من ضعفه قوة، ولا يعرف المستحيل في تتطلعاته، وان كان الانجاز هو أفضل شيء يمر به الانسان فهذا يدل على كمية جهد بذل للتغلب على ضعف أو قصور ما .

حياتنا كبشر عبارة عن ملحمة لها فصول متعددة ، مختلفة ومتضادة ، فلولا الحزن لم عرفنا الفرح، ولولا المرض لما عرفنا نعمة العافية ، ولولا هذه الشرور لما وجد بيننا طبيب وجيولوجي و فلكي وفيزيائي ، فكلها نتيجة لرغبة الانسان في التعالي على نقصه .

ولا أدري كيف تكون المعيشة في ذاك المجتمع الذي كان في خيال نيتشه الخالي من المشاعر الذي ليس له طعم أو لون، فالكل قوي والكل ذكي، فلما نعيش؟ وماذا نتعلم؟!.

ومع هذا حري بالانسان أن يتسائل ...

لما جولة الشر أو الظلم دائما أقوى من جولة الخير ؟

ومن وجهة نظري ونحن نتحدث هنا عن الشر الانساني أو بالأحرى الظلم أرى أن كلاهما رابح ، والاختلاف يكمن في الزمن .

فالشر على المدى القصير رابح بدون أدنى شك ، فيما الخير يظهر على المدى البعيد دوما .

فلو تأملنا التاريخ سنرى تعاليم كونفوشيوس سيطرة على الصين لعشرين قرنا بعد موته وهو الذي طرد من الحكومة في حياته .

سنرى سقراط يقتل فكان موته فتحا للحضارة اليونانية واسمه يـ
تردد الى اليوم .
سنرى المسيح يصلب فتنتشر تعاليمه في الافاق ، سنرى محمد
ينفى هو وأصحابه من مكة بعدما عذبوا فيها ولكن في النهاية وبعد
٢٢ عاما يعودون كافاتحين لها .
سنرى عليا يتفرق عنه مؤيدوه ولكنهم يبكون ندما الى اليوم بعد
ما عرفوا حقه ، سنرى جاليله يهرطق من قبل الكنيسة ولكن رأيه
يظهر في النهاية ، سنرى مانديلا يسجن لعشرات السنين ومن ثم يـ
خرج منتصرا .
وغيرها من الامثلة التي تدل على أن جولة الحق أو الخير أمام
الشر لا تنجح في الحال ولكن دائما ماتنجح على المدى البعيد .
ولكن السؤال هنا لما لا ينتصر الخير أو الحق في وجه الشر الا
بعد مدة ؟
لأن الشر وببساطة يملك من الخيارات ما يأهله للانتصار ولكن
ليس طويلا ، فهذه الخيارات تكمن في عدم تقيد الشر بأي قيود .
فالشر لا يقيده أي قيد عكس الخير الذي يتقيد بالرقابة الالهية والضـ
مير والاخلاق ، فيما الشر يكاد لا ينظر الى كل هذا .
وأيضا للشر قدرة غريبة في التخفي بلبوس الخير فيما الخير لا
يستطيع أن يظهر بلباس الشر .
فالخير لا يلبس لباس الشر ، والشر يتخفى بلباس الخير دائما ،
وهيهات فهذه مزية للشر وسقطة قاتلة في نفس الوقت له ، فعندما يـ
بدأ الشر بالتخفي بستار الخير سيكتشف مع الوقت وسيتعرى ومن
ثم سينبذ .

ولكن كيف نفرق بين الخير والشر ؟

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " البر حسن الخلق ، والاثم ماحاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس " ، وقد وضع الف يلسوف الكبير امانويل كانت طريقة مميزة في تمحيص الخير من الشر ألا وهي التعميم ، تخيل أن المجتمع كله يفعل نفس الفعل الذ ي تقوم به هل سيكون مجتمعا فاضلا ؟ مجتمع بأكمله يسرق أو ير تشي أو يكذب ، هل سيكون هذا المجتمع صالحا ؟ .

ولنذهب خطوة للأمام فقد تكلمنا عن أن الشر في مراحله الأول ى يكسر ثلاث قيود رئيسية ان كان مؤمنا وقيدان ان كان لا يؤمن : " الرقابة الالهية – الضمير – الاخلاق " سيحاول أن ينكر الأول ى أو يتغافل أو يبرر لنفسه بكل السبل الممكنة ، وبعد نجاحه في ا لافلات الكاذب من الرقابة الالهية ينعدم الضمير مباشرة فلا يكون له وجود وان وجد سيحاول قتله بتغييب عقله ، وبعد ذلك سيحاول أن يبرر فعله الغير أخلاقي بالذريعة "كل الناس يفعلون هذا " !.

اذا الشر ليس قويا ، ولكنه يملك خيارات أكثر تساعده في خطو ة أو خطوتين ولكن ستخذله في النهاية ، ومن ثم يظهر الخير ويتج لى .

عندما يقول الله سبحانه وتعالى :{ من يضلل الله فلا هادي له و يذرهم في طغيانهم يعمهون ْ } "الأعراف ١٨٦" ، ستعرف أن جولة ال ظلم قصيرة مهما بدى لك من قوته وجبروته ، كونه يدور في فلك الزمن فيما الأبد لا يملكه الا الله .

ولا أقول هذا من باب الخيال الأفلاطوني ، بل لأنه درس التاري خ ، الذي يهمس الينا استبشروا خيرا ...

وقبل أن نفرغ ، لما البشر يلتفون حول الشر أو الظلم والظلمة دائما ؟

لأن الأنسان بطبعه عجول ، ينظر في النتائج الآنية لا أكثر .

ولأن الأنسان يحب أن ينتمي الى الجماعة ، فيدين بما يدينون و يكفر بما يكفرون به وعندما ينقلبون من نقيض الى نقيض كمحبة حاكم ما الى بغضه أو من دين الى دين، فهذا لا يؤثر فيهم أبدا ، فهم كما وصفهم علي رضي الله عنه يصيحون مع كل صائح وقد برهن عالم النفس سالمون آش على ذلك في تجربة شهيرة له .

فلا تعرف لهم رأيا ولا نقدا وكأن عقولهم استحالت الى أكل و شرب ، فهم كالانعام بل آضل سبيلا ، فعقلهم أصبح مجرد عقل اجرائي ورد فعلي لا أكثر .

فالانسان العاقل يبصر ويتسائل دائما ، ولكن هيهات للخراف أن تعقل أين الحق ، فحتى عندما تتبع الحق لا تعرف أنه حق ، بقدر ما تعرف أن الكل يسير في هذا الطريق .

لذلك كان العقلاء يرون أن اجماع العامة على شيء معين يميل الى الخطأ أكثر من الصواب ، والقرآن ممتلئ بالآيات التي تؤكد على أن أكثر الناس لا يعلمون ولا يفقهون ، والتاريخ بالعبر والمواقف والنظريات التي تؤكد جهل العامة غالبا .

وفي القرآن تصوير ممتاز للشر والظلم وهؤلاء الاتباع في قوله عز من قائل { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } "الأسراء ١٦" فلا حجة للعامة فقد خلق الله لهم عقولا ووسع الأرض للهجرة ، فالساكت عن الظلم مشارك في الظلم وبالتالي يستحق العقاب ...

وفي النهاية هل الخير أضعف من الشر ؟ ....

الفلسفات المادية ...

لم تبدأ الفلسفة مع ديموقريطس كما يقال ، بل حتى لم تبدأ هذه ا لفلسفة هنا على الأرض .

فأول من صاح بها ابليس قائلا { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } ، فيما الملائكة سجدت كونها نظرت لآدم ك روح من قبس الاله وفهمت مراد الله في الآية السابقة {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } وهذه عكس النظرة الما دية لابليس المتمثلة بخيرية النار على الطين .

وهذه النظرة القاصرة أعمته عن قوله تعالى { وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي } فلم يفهم أن السجود لنفحة الالهية ولم يتسائل ولم يتريث لـ كي يفهم ذلك ، بل تعامل مع اللحظة ومسح الماضي ولم يكترث بالمستقبل وآمن برأيه وقارن علمه بعلم الله فهدد وتوعد .

هذه هي الفلسفة المادية التى ناطحت الاديان والفلسفات الروحيـ ة على مر العصور ، فهي تدعو الى العيش في هذه اللحظة ونبذ الـ ماضي وعدم الاكتراث للمستقبل ودائما ماتكون هذه الشعارات ضـ منية .

ولم يكن هرقليطس ماديا ، ولم ينتمي ديموقريطس اليها يوما ، ولكن الفلسفة المادية أستخدمتهم كما يستخدمون داروين اليوم .

وقد وصف كارل ساجان العالم بمكان للشياطين فيما ذهب الدك تور مصطفى محمود رحمه الله الى أبعد من ذلك فنصب الشيطان حاكما عليها ! .

وكتبت أمل دنقل : " المجد للشيطان .. معبود الرياح ...من قال لا في وجه من قال نعم ... من علم الانسان تمزيق العدم "!.

فهل حكم الشيطان بالفعل ؟ وهل علم الانسان تمزيق العدم ؟ و ما دخل هذا في الفلسفة المادية ؟ ، ولنبدأ من حيث انتهت التساؤلا ت .

فابليس كما قلنا هو أول من نظر الى المادة ولم يأبه بالجوهر ، هو أول من مسح الماضي وكأن لم يكن والمستقبل وكأنه ليس بكا ئن ، هو أول من عاش للعدم فلم يتزعزع ولم يتراجع .

فحق لنا أن نجعله أبا للفلسفة المادية ، أبا للعدم والعدمية فكيف يكون ممزقا للعدم وهو يعلمه لناس ويبشر به ؟

وقد حكم الشيطان ومازال يحكم ، ولكن في فترات نادرة انجلى كما انجلت اليوتوبياه في المدينة .

فاقورينا مع فيلسوفها أرستبوس أفضل مثال على هذا ، فقد جعل مبدأ الحياة الألم الذي لا يعالج الا باللذة الأنية ، وأنكر الروح والحياة بعد الموت ووضع الحس في مرتبة متقدمة عن العقل وبنى مدرسته على ذلك .

ولم ينكر الاخلاق كونه تلقى علمه من سقراط ، ولكن انكاره للحياة بعد الموت ووضع الحس في مرتبة متقدمة عن العقل أنتج انكارا للاخلاق وانغماسا شديدا في اللذات في اتباعه من بعده ، حتى أتى ملاك الموت "هجسياس " وبشر بالانتحار كحل نهائي ووحيد للخلاص من الألم ، فبدأ الأتباع بالانتحار كونه قفزة الى العدم حيث لا يوجد الألم .

وأغلق الملك المدرسة بعدما رأى تزايد أعداد المنتحرين وطرد ملاك الموت .

هناك أرى مملكة الشيطان وهناك حكم ، فمسح ماضيهم وأعمى مستقبلهم وعاشوا في دائرة مغلقة قذفتهم في هوة العدم .

الا أن مثل هذا التجلي لن يتكرر وسيكون مكانه الخيال كاليوتبياه التى تكونت لمدة بسيطة في مدينة رسول الله ولن تتكرر هي الأخرى .

ولكن تبقى اليوتبياه " المدينة الفاضلة" ، و اللحظية " حياة العدم " تعملان كأقطاب لجذب المجتمعات التي تترنح بينهما .

أما في الفرد فهما يتمازجان ، فتارة تراه ملك وتارة أخرى هو شيطان .

والخطأ جزء من انسانية الانسان بل حق من حقوقه ومن خلاله يتعلم وتنمو خبراته ، كونه كائن حر في اختياراته وليس كائنا مبرمجا وبالتالي فاحتمالية الخطأ هي نفسها احتمالية الصواب .

ومع الزمن استحالت الفلسفة المادية الى ديانة طبيعية أو فلسفة وجودية وأخرى ماركسية ولكنها احتفظت بسمتها الرئيسية وهي العدمية .

فلا مجال لوجود اخلاق من دون ايمان باليوم الاخر ، كون الاخلاق ستكون من نصيب من لا مخالب له كما يقول نيتشه ، فيما صاحب المخالب لن يجد ما يمنعه من استعمالها .

والعدمية ليست قاصرة على الفلسلفات المادية وحسب بل نراها حتى في المؤمنين باليوم الاخر حينما يقارفون المحرمات وهناك العشرات الذين يعيشون تحت راية هذه الفلسفة ضمنيا .

فما معنى أن أقترف المعاصي وأزيد وأشتد في الانغماس بها مع أني أؤمن بحياة وحساب بعد الموت ؟ فهذا الشخص كمن حفظ وأجتهد في المذاكرة ولكن أجاب على أسئلة الاختبار اجابات خاطئة وهو يعلم أنها خاطئة ولكن مع ذلك يرجو النجاح .

وهذا مصداق قول نبينا صلوات ربي عليه " (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن " كونه سيمسح الماضي ولن يكترث للمستقبل وسيعيش اللحظة الآنية غير مكترث بالعواق ب فايمانه بالحساب لم يمنعه من اقتراف الخطأ مثله مثل من يعي ش للعدم .

فالظالم قد يظلم ويعود وهذا طبيعي ، ولكن أن يظلم المرء وير ى ظلمه فعلا مقدسا فهو هنا فد تساوى مع ابليس فهو شيطان في لب اس انسان.

وعودة للفلسفات ، فالفلسفة المادية مثل الأديان والفلسفات الرو حية لا تنتج حضارة أبدا .

فالحضارة نتاج العلم ، فكلما زاد العلم ازدهرت الحضارة ولا د خل للفلسفات المادية ولا الروحية ولا الأديان في الحضارات .

فدورها ينحصر في الترغيب بالعلم اما طلبا للاجر في الحياة ا لأخرة ، أو وضعه كهدف أسمى للحياة ، فان سيطر الدين على مكا ن فلن ينتج شيئا مثل العصور الوسطى الاوروبية ، وان سيطرت الفلسفات المادية أيضا ستكون العاقبة فيلسوفا مثل "هجسياس" ملا ك الموت .

تقييم المنطق....

من أهم المشاكل التي تكون في أي حوار بين الموحدين والغير موحدين المقدمات ومن ثم النتائج .

فالنتيجة تحتاج الى مقدمات صحيحة ، ولكن كيف نعرف أن ه ذه المقدمات صحيحة ؟

فان بدأنا بالموحدين سنراهم يطالبون الغير موحدين بالاتيان بدليل ايجابي لاثبات عدم وجود الاله وهذا خطأ ومصادرة على المطلوب .

فكل الموحدين يؤمنون باله غير مادي فكيف يطالبون بدليل مادي .

وأيضا غير الموحدين من جهتهم يطالبون بدليل مادي لاثبات وجود الاله وهذا خطأ ومصادرة على المطلوب .

فيجب على السائل أن يعي سؤاله جيدا، فكيف أطالب بدليل مادي لشيء أسميه الها ؟

فكوني أطلب دليلا ماديا فهذا يعني أن الاله يمكن أن أصل اليه بالحواس وبالتالي فهو جسم له امتداد ، وان كان كذلك فهو ليس باله كونه محكوم بالمكان والزمان .

فكثير من المفكرين من الجانبين يفكرون بهذه الطريقة ، وبالتالي حوارهم أشبه مايكون بحلقة مفرغة لا نهاية لها ولا نتيجة .

فالمطلوب هو دليل عقلي من الجانبيين ، وتقييم صحة المقدمات وصحة النتيجة أولا ومدى ارتباط المقدمات بالنتيجة ثانيا وتعريف ماينبغى تعريفه من مصطلحات .

فلو تناولنا مقدمة الفلسفة الوضعية لانكار وجود الاله :

١- كل ماهو محسوس موجود
٢- الاله غير محسوس

اذا الاله غير موجود

مبدئيا النتيجة متناسقة مع المقدمات ولا مجال لان نأتي بنتيجة صحيحة غير هذه النتيجة .

ولكن سنبدأ تقييم المقدمات لنرى هل المقدمات صحيحة ؟
"كل ماهو محسوس موجود "
ان قصرنا الوجود على المحسوسات وهي التي نتواصل معها عن طريق حواسنا أو أدوات نستخدمها ، سنرى أن هذا الوجود له خصائص منها الامتداد وشغل حيز من الفراغ .
ولكي نرى صحة هذه لمقدمة سنستعين برينيه ديكارت القائل " أنا أفكر فاذا أنا موجود " ، فهل التفكير موجود؟
قطعا موجود ، بل يدل على وجود الامتداد ، ولولا الفكر لما طا لعت كتابي ، ولولا الفكر والادراك لما تنبهت عندما ينادي شخ ص ما عليك .
هذا يعني أن الفكر موجود ، ولكن ليس له امتداد ! ، و قد قولنا أن الوجود هو كل ماله أثر ، وليس كل ماهو محسوس . وبالتال ي فالمقدمة الأولى ليست صحيحة وهذا كافي لكي نقول بأن ال قضية كلها غير صحيحة ، ولو أكملنا بعد نقض المقدمة الاولى أو الكبرى سنرى أن القضية أصبحت غير صحيحة .
"الاله غير محسوس "

اذا الاله غير موجود
وسنرى أن المقدمة الثانية والنتيجة ليس بينهما ارتباط أبدا ، فان قلت الاله غير محسوس سيقول المتدين اذا الاله موج ود والملحد سيقول الاله غير موجود وكلاهما يؤمن بصحة منطقه ، ولكن القضية مفتقرة للدليل التي لاجلها سميت ق ضية .
وقبل أن يتركنا ديكارت نريد أن نمازحه ونفرض منطق ال فلسفة الوضعية على مقولته :

١- كل مفكر موجود
٢- الحيوان لا يفكر

اذا الحيوان غير موجود
وبالطبع سيتبرأ ديكارت من هذا القول الذي سيهدم بمر
ور قطة أمامه .
وديكارت كان قد أوجب ثنائية الوجود وأن الروح دليل
على الامتداد وليس العكس .
ولنتناول الاستدلال بالتطور مثلا :

١- كل الكائنات الحية تطورت من خلية واحدة
٢- الانسان لم يخلق من قبل الاله مباشرة

اذا الله غير موجود

وسنرى كيف أن المقدمات لا تدعم النتيجة البتة ، فالنتيجة الصحيحة هي " الانسان تطور من خلية واحدة " وهذه العبارة لا دخل لها لا من قريب ولا من بعيد بوجود الله .
فالسؤال سيكون من خلق هذه الخلية ؟ هل خلقت نفسها ؟
ان قلنا أن الخلية خلقت نفسها فهذا تناقض يعني أن الخلية كانت موجودة حين خلقت نفسها ، وكأني أقول أنا حي لا حي في نفس الوقت .
وبالتالي نرى أن التطور يدعم وجود اله أكثر من دعمه لعدم وجود اله .
فان كان الانسان متطورا من خلية واحدة فالسؤال الذي سيتبادر من خلق هذه الخلية ؟ ، فليس هناك مجال لانكار الاله من خلال نظرية التطور والنشوء لداروين .

وهكذا نستطيع أن نتناول كل الادلة من الجانبيين بدلا من المجلدا
ت والاقوال .
ولنطبق هذا على البراهين العقلية ،ولنبدأ ببرهان النظام ونرى ان
كان صحيحا أم لا .
١- كل شيء منظَّم يحتاج الى منظِم
٢- الكون منظَّم
اذا يحتاج الى منظِم .
وسنبدأ بالمقدمة الأولى " كل شيء منظَّم يحتاج الى منظِم.
لو تأملنا الى أي شيء نشعر وكأنه متناسق سنبحث عمن نظَّمه ون
سقه بهذا الشكل ، فالاوركسترا بدون قائد لن تعزف بشكل جيد ، و
الحاسوب من دون مبرمج لن يعمل هو الأخر ، وفريق كرة القدم ب
لا مدرب سيفتقد للتناسق .
فالتناسق يحكي خطة معينة مع شيء يراد تنسيقه ، أما كيفية التنسي
ق اما تكون عشوائية كمن يرمي العملات في الهواء لغرض ترتي
بها ، أو بشكل مدروس.
فان أردت اثبات أن العشوائية قد تنتج شيئا منظما لا يتعارض مع
وجود منسق أو شيء يراد تنسيقه ، فبلا منسّق ماذا ستنسق العشوا
ئية ؟
فمن الخطأ أن نقول أن العشوائية قد تأتي مكان المنظم كون العشوا
ئية تحتاج الى شيء لتنسقه وهذا الشيء يحتاج الى من يوجده فمن
أوجد هذا الشيء ؟
فان قلت العشوائية سندخل في دائرة مغلقة وسنكرر السؤال عمن أ
وجد المنسَق ، وبالتالي فالعشوائية جزء من الكيفية وقد تنتج شيئا
منسقا ولكن لا تلغي وجود منظِم أو منظَم .

فحينما أسأل عن كيف حدث هذا من الممكن أن تقول لي بالصدفة ، ولكن حينما أسأل عن من خلق هذا المنسّق لا يمكن أن تكون الـ صدفة .
ولنبسط ما نرنوا اليه بهذا المثال : ألقيت بعدد من العملات في الهو اء عدة مرات حتى سقطت وأنتظمت بشكل متناسق ، وسألت عن هذا التناسق سأجيب أنه حدث بالصدفة ، ولكن لو سألت عن ماهية العملة سيكون جوابي مختلفا ! ، فالصدفة أو العشوائية لا دخل لها في هذا السؤال .
وبالتالي فالمقدمة الأولى صحيحة ، ولنأخذ المقدمة الثانية "الكون منظم " .
وهذه من اختصاص علماء الفيزياء والكسمولوجي ، فهناك من الأ دلة على أن هذا الكون منظم لا حصر لها ، وهذه المقدمة بناء على تلكم الدلائل أيضا صحيحة وقطعا ستكون النتيجة صحيحة .
وهكذا نستطيع تقييم المقدمات بشكل سليم ونكون موضوعيين وبشد كل كبير ومايمنعنا من مثل هذا التقييم هو حرصنا على دحض أرا ء الأخر لا محاولة فهم أراء الأخر .
ومن روائع الفلسفة أن ليس هناك مكان للحقيقة المطلقة ، فالمكان لا يتسع الا للمنطق .
وأكتفي بهذا القدر وأترك لكم متعة تقييم برهان التصميم وبرهان ا لتناغم.

الحلقة المفقودة بين الموحدين والملحدين....

رأينا كيف أن تقييم المقدمات يعمل على جر الحوار الى نتائج ممتا زة ، عكس التسرع في النقض دونما أدنى تفكير .
فالنقاشات والمناظرات هي لب المعرفة ، فلا علم لمتعصب ولمن يلتزم رأيا واحدا ولا ينوي التراجع عنه ، فأول ما يجب على طال ب العلم أن يلزمه هو المنطق فلا وجود لحق كامل ولا باطل كامل ، فقط العقل يدرك المنطقي واللا منطقي .
وبلغة العقل نتكلم ، وبلغة العقل نناقش ، فلا وجود لأعداء الا عند المتعصب ، فالعلم يناقش ويحاور ويقييم ويتبع ، أما التقليل والتسفيه والانتقاص تعابير لا تجتمع في عقل طالب العلم وانما مكانها هنا ك سنين طويلة .
فرعون قال { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} وكان رد موسى في عقل المتعصب المنغلق .
بين الموحدين والملحدين شعرة خفية ، دارت النقاشات بحث عنها منذ
{قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ } ، فتعجب فرعون من هذا الرد كونه لا يمت بالسؤال بصلة .
وحاور موسى ربه طالبا النظر اليه ، فكان رد الله جل في علاه { قَالَ لَنْ تَرَانِي} ، وقبل ذلك قال نمرود لابراهيم { أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } وكان رد ابراهيم { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} .

وفي الفلسفة قسم هيوم الافكار الى مركبة وبسيطة ولا مجال لوجو
د أفكار مركبة ان لم تفكك الى بسيطة ، وهذه النظرية صحيحة كو
ن أفكار الانسان تعتمد على الادراك سواء بالتجربة أم بالتلقي ومن
ثم الاستقراء والاستنباط .
فان كان هيوم يرى أن الأفكار مركبة يجب أن يكون لها جذر بسيـ
طة متمثل بالتجربة سننكر وجود الاله والذات والعلم ولا يكون للع
قل فائدة أبدا ، حيث أنه ينفى ارتباط السبب بالنتيجة وان كانت هذه
النظرية في حد ذاتها صحيحة ، ولكن لو نظرنا اليها كتكملة لفلسف
ة هيوم سنراه ينكر التجربة و كل شيء .
فهيوم أوقف الافكار المركبة على التجربة والا ستكون مجرد هذ
يان عقلي ، ولكنه أغفل الاستنباط والاستقراء وهنا نحن نبرهن عل
ى العلم والفلسفات ووجود الاله.
فكل ماهو خارج عن الادراك (بالتجربة أو بالتلقي) والاستنباط وا
لاستقراء ليس له مجال في عقل الانسان .
وكون الادراك يختص بالاجسام والماهيات فلن نستطيع أن ندرك
الله من هذه الناحية كون الاله ليس جسما وان كان جسما فهو ليس
باله كونه سيكون مزمن بالزمان وممكن بالمكان وبالتالي سيكون
حدثا ويتطلب وجوده الى محدث .
فالموحدون لم ولن يدركوا الله بالادراك وانما بالاستنباط والاستقرا
ء ، فالانسان كما قلنا لا يستطيع أن يدرك الا ما هو في نطاق الاد
راك الذي يتعامل مع الجسيمات والماهيات ، فيما الاله ليس بجسم
كما قلنا ، وبالتالي طلب برهان مادي على وجود الله مغالطة منطق
ية كونه يقول " أعطني دليلا على الاله ولا اله ؟ " فمن المستحيل
أن يتواجد النقيضان في وقت واحد أو يرتفعان سويا وهذه من بد
هيات علم المنطق ! .

فان كان يدرك فهو جسم ما يعني أنه ليس اله ! ، ولذلك كان رد م
وسى على فرعون من منطلق الاستنباط والاستقراء لا من منطلق
الادراك ، وكذلك رد ابراهيم عليهم السلام .
وحتى عندما سأل ابراهيم ربه لم يطلب النظر بل البرهان بالقدرة
وهذه ميزة لابراهيم كعقل جبار ، وبرهن له الله عن طريق القدرة
في اعادة الحياة الى الطيور ، ما يعني من باب الاستقراء والاستنب
اط لا من باب الادراك .
وحتى عندما يحث الله الخلق على معرفته يقول { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ} و
{ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ، ويؤكد على هذه الحقيقة {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } "الجاثية ٥" فنحن ليس لد
ينا برهان ادراكي وانما برهان استنباطي واستقرائي ، فان كنت
تفهم نقطة أن الاله في نظر الموحدين لا يدرك كونه بلا جسم وتتط
لب دليلا ماديلا فهذه مغالطة منطقية ولن يقوى العقل أن يتفهم حي
ولا حي في نفس الوقت ! .
وهذه هي نقطة الخلاف التي لا يفهمها الطرفان ، حيث أن الأول يـ
طالب بدليل مادي والثاني يأتي ببرهان عقلي ، فيقول الأول أنا لم أ
سألك عن هذا ، ويتعجب الأخر ويزيد في توكيد البرهان العقلي ،
وفي النهاية لا جديد تحت الشمس ، كلاهما لم يقتنعا .
وطالب العلم لا تغره الالقاب ولا المسميات ، فقط ينظر الى المنط
ق ويقيم ، فان اقتنع أصبح هذا الرأي رأيه هو ، بل سيضيف عليه
، وان لم يقتنع سيرده ولكن ليس جملة وتفصيلا ، فلا وجود للباطل
عند طلاب العلم .
فعلينا أن نتواضع فالعلم لا يأتي الا بالتواضع ، وعلينا أن نناقش فـ
لا علم بلا نقاش وحوار ، فالتلقين أنزل الأمة الى أسفل السافلين ..

همسات

{الا من أتى الله بقلب سليم} ...
قالها الرب جل في علاه في معرض كلامه عن الجنة .... لم يق
ل الا من ذكر كثيرا ... الا من عبد أكثر .... الا من سمع أكثر ... بـ
ل قال الا من اتى الله بقلب سليم ...
سلامة القلب مفتاح دخول الجنة ... مفتاح الحياة على وجه الأر
ض ... هي العبادة التي من أجلها خلق الانسان ... وهي الملحمة الـ
كبرى التي وجد الانسان نفسه في ساحاتها ... أخال هذه الساحة ما
رمى لها جان بول سارتر في وجوديته ... وكيرججارد في مراحله
الوجودية ....
الا من أتى الله بقلب سليم ... لأجلها نزل جبريل على الرسل ...
أجتهد ولم يمل ولم يكل وهو يرى الانسان يبتعد عن القلب السليم ا
لى القلب السقيم ... بل العقيم ... بل اللئيم ..
نزل جبريل وفي كل مرة يضرب كفيه متعجبا من سرقة الله مـ
ن قبل الناس .... من تزوير رسالته وتقويله مالم يقل .. فأصبحت
الجنة بتذاكر عند أهل الكنيسة ، ويجر اليها البشر بالسلاسل عند أ
هل المسجد ..
نظر في الكنيسة بحثا عن عيسى فلم يجده ، ونظر الى حائط الـ
مبكى بحثا عن موسى فلم يعرفه .. وأخير ذهب الى المسجد بحثا
عن محمد فخرج جريا من هول الفاجعة ..
فمحمد اللذي أتي لكي يتم مكارم الأخلاق أصبح مشرعا للقتل و
سبي النساء واستعباد الناس بحجة جرهم الى الجنة بالسلاسل ..

شرع الله الصلاة لكي تزكي النفس ، وشرع الصيام لكي تقمع شهوات النفس ، والحج لكي يتذكر الفرد أنه محتاج لله وأنه لا فرق بين أبيض ولا أسود ولا عربي ولا أعجمي ولاغني ولا فقير ... وكل هذا لكي يساعدنا الله أن نكون من أهل القلب السليم ..

أهل القلب السليم مكانهم الطبيعي والعادل الجنة ... مسلما كان أم كافرا .. موحدا كان أم غير موحد ... وأهل القلب السقيم مكانهم الطبيعي النار كونها تناسب مقدراتهم وملكاتهم الشريرة ...

كما أن ابن القرية سيرى قريته أفضل من أجمل مدن العالم .... فصاحب القلب السقيم لن يرتاح في الجنة كونها لا تناسبه ، فهتلر مثلا لن يرتاح بجانب المهاتمما غاندي ، بقدر ما سيرتاح بجانب موسليني وسالازار والحجاج !....

ونيرون لن يرتاح بجانب عمر بن الخطاب بقدر ماسيرتاح بجانب معاوية وأبو السفاح العباس وهارون الرشيد ، هكذا أهل القلوب السليمة ترتاح لبعضها ، وأهل القلوب السقيمة تأزر بعضها ...

حينما لا يشير الظل الى الجسم سيكون سرابا ... حينما لا يشير العش الى الطائر سيكون فخا ...حينما لا تضعك الصلاة على خط القلب السليم فحذر منها فصلاتك لا تصلي ... وحينما لا يقمع الصوم شهواتك ويجعلك تتحكم بها فتوجس منها فصيامك لم يصم .. . حينما تحج ومازلت تلهج بالطائفية وقلبك مازال مليئا بالعنصرية والانتماءات فحذر فحجك لم يضحي !

نقي قلبك من الحسد والظلم والقهر والغضب والكره والتعصب والجهل والخيانة والكذب والاحتقار والكبر والغرور فالجنة لن تكون لقلب يمتلأ بهذه الشرور ...

فالله ينظر الى القلوب ... والله جميل ولا يرى الا الجمال ... يرى الصدق ويترك الكذب للنار ..يرى العدل ويترك الظلم للنار ، ي

رى الفكر ويترك الجهل للنار ... فمنظار الله الجمال ومنظار النار القلب السقيم ...

- الجامعة المحمدية

عندما تنظر الى الهدف الأسمى للجامعات العظيمة ، ستر ى الهدف يتمحور كيف تضيف وتطور مجالات بحثها وتخ رج أجيالا تضيف لهذه المجالات والتخصصات .
الجامعة المحمدية أمر بانشائها محمد بن عبدالله لكي يخرج أجيالا تعمر الأرض بروح سامية وارادة صلبة وأخلاق ك املة .
نشأت هذه الجامعة في ظل بيئة جاهلية تمجد القوي وتحتقر الضعيف وتذم الاعمال اليدوية والفخر فيها يلوذ بالنسب تا رة وبالحجر تارة أخرى ! .
مجتمع بدائي كغيره من المجتمعات التي كانت في ذاك الز مان ولكنه زاد عليها بحتضانه للحرم الطاهر ، ولديه رصيد د من الفخر مع أنه كان من أدنى المجتمعات في ذلك الوق ت ! .
فكان التحدي كيف يتحول هذا المجتمع من مجتمع قابع في البداوة الى مجتمع أخلاقي منتج في عضون عشرات السنين ن ! ، ومن مجتمع منغلق الى مجتمع منفتح .
كان مرض ذلك المجتمع وككل المجتمعات ناتجا من مترفي ه ، فركز على طبقة الضعفاء فأطلق العنان لقواهم العقلية والروحية لكسر أصنام المجتمع المعنوية قبل اللات والعز ى .

فكان الشعار " كلكم لآدم وآدم من تراب " كفيلا باستنهاض
الهمم التي قتلت من خلال الأصنام المعنوية ، فقول كل الأ
طراف متساوية في الدين أهم عامل جعل للدين قوة وهيبة
، فبدأ التدريس في دار الأرقم ، وبدئت الأرواح تزكو شيئا
فشيئا .
ولم يكن التدريس مقتصرا على الجانب النظري فقط ،فالا
خلاق تبقى حروفا ان لم تطبق على أرض الواقع ، فكان الـ
صبر على آذى المشركين وقتل هوى النفس الانتقامية بالـ
صبر والعفو .
وبعد ثلاثة عشر عاما تم تخريج الجيل الذي أسس يوتوبياه
حقيقية على أرض الواقع ، في أرض ذات نخل تسمى يثر
ب .
هذا الجيل تربى على مكارم الاخلاق فالرسول قال أنه بعـ
ث لاتمام مكارم الأخلاق ، وتنقية النفس من نزعاتها وتحو
يلها الى صفح وعفو ، وجعل المجتمع متقبلا لكل أطيافه لا
طيفا واحدا ، واعمال العقل بالتأمل والفكر فكيف تعظم ماتـ
بنيه بيديك ؟! .
هذه كانت سمات الجامعة وموادها فتخرج الجيل الذي بنى
يوتوبياه حقيقية بلا طبقات ولا فروقات الكل فيها متساوي
،حتى أن الغريب لا يعرف من فيهم الرسول محمد فهو يجلـ
س حيث انتهى الناس .
عندما تقرأ تحملهم للاذى في سبيل الحقيقة وكيف صبر بلا
ل على رمضاء مكة ، وكيف عانى سلمان الفارسي في سبيـ
ل الحقيقة وكيف فدى علي بنفسه الرسول وكيف تحمل عمـ
ار بن ياسر موت أبويه أمام عينيه فلم يتزحزح عن الحقيقة

، وكيف أنفق عثمان وابن عوف ، وكيف أسلم الصادق أبو
ى ذر ، ستعلم مدى غرابة اسلامنا اليوم ومدى بعدنا عن الـ
جامعة المحمدية .
وتوفي النبي وبدئت رقعت الدولة تتسع وتضم بشرا لم يتلق
وا التعليم في الجامعة المحمدية ، بل بشرا حاربوا تلك الجا
معة بل كانت نشأت الجامعة للوقوف في وجههم ! .
الا أن القيادة استمرت في ذاك الجيل ، فصانها أبى بكر ،
وجملها بالعقل والعدل عمر ، وبالكرم عثمان الا قليلا ، والـ
مساواة وروح الاسلام الصحيحة علي ابن ابي طالب .
وصى عمر ابن الخطاب أن يكون الأمر في البدريين فهو
على علم بأهمية الجامعة المحمدية ، واستمر الأمر حتى انت
هى باستشهاد علي رضي الله عنه وانتهت الجامعة المحمدي
ة وانتهت ثورة العقل والاخلاق ، فالأمر قد صار لخريج مـ
ن جامعة أخرى ، هي عينها التي قاومها الرسول .
وعادت مركزية قريش مرة أخرى وهذا مثال كيف للشر أ
ن يلبس لبوس الخير ، فبعدما كان الخطاب منفتحا على كا
مل أطياف المجتمع كون شعار الاسلام " كلكم لآدم " والاف
ضل هو من يتولى الحكم ، أصبحت الشعارات " العرب خـ
ير من العجم " وقريش تملكهم جميعا ! ، وبدأت مسيرة الـ
خطاب المنغلق "نحن وهم – أنا وأنت – العرب والعجم "
وغيرها من العنصريات المباركة بستار ديني و التي نهى ا
لنبي عنها ولكن لا مجال للعدل والاخلاق في الفترات الق
صيرة كما قلنا ، فالشر سيستخدم كل الوسائل لبلوغ الهدف
.

وأستمر الوضع هكذا مع هذه الشعارات ، ولكي يشغروا مـ
ساحة الجامعة المحمدية ، تم الاهتمام بأقوال النبي ولكن اخـ
تلفت الاقوال ونشأت بدل الجامعة الواحدة جامعات متعددة
.
فكان نتاج هذه المدارس علماء يتنازعون في مسائل كخلق
القرآن وهل الله يرى وما حكم من عاش في الفترة وهل يجـ
وز أن نسمي الملائكة صحابة وغيرها من المسائل الثانوية
وان كان لبعضها أهمية ولكن ليس على حساب العدل والمـ
ساواة وغيرها من أسس القرآن الخالدة ، وهذا البعد عن ر
وح الاسلام أنتج لنا بلغة الماضي الحجاج بن يوسف وخالد
القسري وبسر بن أرطأة أما بلغة اليوم فقد أخرج لنا القاعد
ة .
فما أحوجنا اليوم الى التنقيب عن الجامعة المحمدية والنهل
منها ، ففرق بين الجامعة المحمدية وبين الجامعات الاخر
ى عينه ذاك الفارق بين جامعة عيسى والكنيسة .
فالاديان بلا عدل ولا مساواة هي أفيون لشعوب كما صرح
ماركس ، فهو دين انقسامات وتفرق وتحزب وكل فرقة لـ
ها خطاب مؤدلج منغلق ، لا ينظر الا لنفسه دين قتل وتلاعـ
ن لا أكثر .
فما بين تأمل محمد في غار حراء وبين حد الردة سنين ضـ
وئية ، وقس على ذلك تعاليم الجامعة لمحمدية والجامعات ا
لاخرى .
حان الوقت أن ننقب عن الجامعة المحمدية فقد امتلئ ماضيـ
نا ونضح حاضرنا بالفشل والدم والكراهية ...

- الحقيقة ...

باسمها يموت الكثير ، ويقاتل في سبيلها الكثير ، الجلاد والمجلود والسجان والمسجون كلهم يحبون الحقيقة وبالتالي افعالهم تعتبر تجسيد لهذه الحقيقة .

قد تكون الكلمة الوحيدة التي لا يوجد تعريف لغوي وعملي ومنطقي مقنع لها ، ومع ذلك دأب كل انسان في البحث عنها في كل العصور .

ولكن هل هناك وجود للحقيقة ؟ وفي حال وجودها اين نصنفها ؟ في الفلسفة أم العلوم أم الدين ؟

لا أدري كيف اجيب على هذه التسائلات ، فالحقيقة التي أدركها أنه لا وجود للحقيقة الكاملة ! .

الحقيقة لله وحده فكما قال ليسنج " لو خيرت بين الحقيقة والبحث عنها ، لجوثت على ركبتاي وقلت : الهي اعطني مافي شمالك (البحث عن الحقيقة) فالحقيقة لا تليق الا بك "

.

فالحقيقة الكاملة أخدوعة كأخدوعة البائع في السوق ، فالانسان سيضل يحاول أن يقارب الحقيقة قدر ما يستطيع ولكنه لن يصل للحقيقة لأنها لا تليق الا بالله .

والغريب أننا نقول أن ليس هناك كامل الا الله ، ولكن نرى مجموعة من الكملة في كتبنا ومجالسنا وأحاديثنا ! .

المسلم يرى دينه الحق وكذلك المسيحي واليهودي ، وقس على ذلك البوذي والهندوسي .

ولكل شخص الحق في اعتقاد أي دين ، وليس للدين أن يـ
صادر حق الاخر في الاعتقاد ، فالاديان أنزلت لتحقيق حـ
ياة مثالية للبشر على وجه الارض وكطريق لله ، فان كان ا
لهندوسي صادقا في اعتقاده بالله ولكنه يتعبد على الطريقة ا
لهندوسية فهذا حبل بينه وبين الله لا يجوز لأحد أن يقطعه ،
فالله لم يجعل لشخص أن يقاضي الناس في عقائدهم ولو
كان أشرف الخلق نبينا عليه الصلاة والسلام {لَيْسَ لَكَ مِنَ
الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } فالله
قد أخبر النبي أن حسابهم عائد اليه جل شأنه ، ولم يقل كا
فرون لكي يستثني المسلم نفسه من النار كما يحدث اليوم مـ
ع أن الصحابة كانوا يبكون ولا يدرون مايفعل بهم ! .
موروثنا جعلنا نعيش وكأننا شعب الله المختار ، فنحن الأ
فضل ويجب أن نحتل العالم ويكون الحكم بيدنا ونحيل هذا
الظلم والعدوان الى النبي الكريم والقرآن العظيم .
فلا وجود لحقيقة كاملة ، فكل الحقائق التي في الدنيا نسبية
، تختلف من شخص الى أخر .
وعلى كل حال فنحن لا نقول لا تبحث عن الحقيقة ، بل أننا
خلقنا لمقاربة الحقيقة ، بالتأمل حولنا ودراسة التاريخ والغ
وص في العلوم الحديثة ، فكل فرد في هذه الحياة متسابق ف
ي مضمار الحياة ، وعلى ذلك فكل فرد سيصيب خيرا بقد
ر مايبذل من مجهود ، أما من لا يريد بذل مجهود ويعتقد أ
ن هذا الفعل هو الصحيح ، فهو كمن لا يجري في السباق
ويتمنى الظفر بالمركز الأول .

- التسامح بين الفلسفة والاديان

ان قلنا أن الحقيقة هي الكلمة التي لا يفهم معناها ، فالتسام
ح هي الكلمة التي لا معنى لها !.
فالكلمة لا تكون كلمة ان لم يكن لها نقيض "وليس ضد " ،
فالعدل نقيضه لا عدل ولكي نفهمه علينا أن نتخيل اثنين يت
قدمان الى وظيفة وأحدهم يمتلك امكانيات ومؤهلات أفضل
.
فالعدل هو أن تكون الساحة مفتوحة لهما واللا عدل هو الم
ساوة بينهما ،والظلم هو ترجيح الأسوء .
فكلمة تسامح بلا نقيض وبلا ضد ، فالتسامح اليوم هو تع
صب خفي ! ، ولذلك التعصب ليس ضد له .
فحينما أتسامح هذا يعني تحولي من حالة المنع والرفض ال
ى حالة العطاء وهذا يكون دائما بسبب معين ، قد يكون وا
ضحا وقد يكون خفيا !.
قد يتسامح المرء لأنه في موقع ضعف ، أو لأنه لا يهتم بما
تقول ، أو أنك لا تشكل خطرا عليه ، أو يراك جسرا لمر
حلة أخرى ، أو يتشدق بتسامحه أمام الغير ، والتسامح في
العالم لا يخرج من هذه الخيارات !.
فان كنت ضعيفا ومتسامحا ، فهذا يعني أن التسامح مجرد
ستار سيكشف عن غول التعصب ونارها التي تتأجج.
وان كان لا يهتم بما أقول فهذا يعني أنه متعصب ولكن دائ
رة تعصبه لا تحيط بي !.

وان كنت لا أشكل خطرا عليه ، فهذا يعني موقفا متعصبا حالما أشكل خطرا عليه ! .
وان كان يراني جسرا لمرحلة أفضل ، فقد يتعصب ضدي أيضا لكي يبلغ مرحلة أفضل !.
وان كان متشدقا فهو متعصب منافق لديه مصالح يريد تحد قيقها ! .
فأين التسامح في كل هذه المعاني ؟
التسامح كلمة بلا معنى وبلا نقيض وبلا ضد ولذلك نرى الـ حرب مستعرة في عالمنا .
ولكن هنا سنجعل للتسامح قيمة ومعنى وضد وبالاحرى نق يض .
فالانسان يساوي الحرية ، وأي قيد يقنن حرية الانسان سوا ء كان دينا أو توجها سياسيا أو فكرا فلسفيا فهو قيد غير بشـ ري ويجب علينا نبذه .
وترك الناس في حالهم يتناقض مع كل حالة اجتماعية ، فلا تنتظر من متبعي الأديان البسطاء أن يتسامحوا مع الأخر ين ، ولا تنتظر من أبناء المدينة الواحدة أن يتسامحوا مع ا لأخرين ، بل لا تنتظر من أبناء الحي الواحد أن يتسامحوا مع غيرهم ، فما بالك بالسياسة ؟!
ترك الناس في حالهم والسياسة نقيضان لا يجتمعان على ا لأقل في وقتنا الحاضر ، ولذلك فاتسامح السياسات في كل أقطار العالم لا تخرج من تلكم الاوصاف التي حددناها .
فيما الاسلام بتشريع الله في كتابه أقر بترك الناس وعقائده م وأفكارهم مخاطبا نبيه { (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِ ي مَنْ يَشَاءُ } وقائلا { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْ

مِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} و { لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } ولكن كل ه
ذا تغير ! لماذا ؟

يقول ويل ديورنت صاحب قصة الفلسفة وقصة الحضارة ا
لمؤرخ الكبير " التسامح يصاحب تدني الايمان ، ولا تسام
ح مع قوة الايمان !" ، فان اجتمع الناس على دين أو فكرة
معينة فلا تنتظر ترك الناس في حالهم والاقرار بحرياتهم .
فالتسامح كما قلنا كلمة بلا نقيض ولكن هنا أستطيع أن أقو
ل أن نقيض التسامح هو الاجتماع ، ما ان يجتمع الناس عل
ى شيء معين حتى يفر التسامح من المكان !، وان كان هنا
ك تسامح فسيكون تسامحا فرديا .

الا أن الاسلام الألهي الحق الموجود في القرآن والسنة الم
وافقة له ، أقر بحرية الفرد فلا مجال لفرض فكرة أو دين
واحد يجب الاجماع عليه ، بل كانت المدينة مزيج بين الم
سلمين واليهود والمنافقين والشعار كان { لكم دينكم ولي دي
ن } .

والرسول له من المواقف الكثير مع اليهود ومشركي مكة
حيث قال لهم في فتح مكة "اذهبوا فأنتم الطلقاء" ولم يقل ل
هم "أسلموا تسلموا" !.

فالاسلام لم يحمل أحدا على الاسلام واعتناق الدين ، بل خا
طب الله رسوله عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم { لَيْسَ
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ } فما بالنا نحن نريد أن نلزم الناس بدين واحد
وسياسة واحدة وفكرة واحدة والويل والثبور لمن يخرج ع
لى الجماعة وغيرها من الشعارات الموجودة في عالمنا الع
ربي !.

فدائرة الدين تضيق بمذهب واحد وتنفي كل المذاهب الاخر
ى ، والسياسة تحتكر في رجل واحد لا ينزعه من الحكم ا
لا القدر ، ولا مجال لمحاسبته فهو انسان كلي الايجابيات
ليست له سلبيات وان كانت فهي قليلة لا تذكر ! وبذلك يكو
ن نصف ألهة !.
وقس على التوجهات السياسية المتصارعة فالليبرالي يرى
أنه أحق الناس في الحكم والتطور يكون معه ، والاسلامي
يرى بأن روح محمد تنزلت عليه وهو أقدر الناس على القي
ادة ، وقس على ذلك كل الاحزاب المتصارعة .
وصاحب المذهب يرى بأنه مذهبه هو الصحيح وقبل ذلك
طائفته هي الناجية وبالتالي فلا مجال لمذاهب أو طوائف أ
خرى .
وابن القبيلة الفلانية يرى بأن قبيلته هي الأفضل ، ويخيل لـ
ك أنه يتكلم عن قبيلة كاملة من الحاصلين على نوبل ولانعل
م كم من أجدادنا كان قاطع طريق أو صالحا أو عالما أو ج
اهلا ، فان قلنا أنهم مزيج من الصالح والطالح فكل أنساب
البشر كذلك ، فهم مجرد بشر تربطنا بهم الأسماء ليس الا
، فعلاما الفخر يا سليل الألهة ! .
وهكذا ان غصنا في مشاكل المجتمع رأينا أن المشاكل تتمـ
حور حول العدل الذي يكمن في ترك الناس في حالهم وو
ضع قانون يسري على كل البشر والاعراق والملل ولذلك
وصف الله الاسلام " الحق " بالرحمة للعالم كونه يؤسس لـ
ترك الناس في حالهم { فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ
} ويأكد على تساوي البشر { ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذ
كر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند

الله أتقاكم إن الله عليم خبير } ويضع أحكاما وفرائض تعين الانسان لكي يعيش حياة جميلة .
فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتضفي على الفرد الط مأنينة فان لم تفعل هذا الفعل فهي ليست بالصلاة وتكون مـ جرد طقوس .
والحج لكي نفكر ونرحم بعضنا ونترك كل شخص يتحاكى مع الله بطريقته ، ومن دون هذا المعنى فهو طقس من الط قوس !.
والصيام لكي تغير في نفسك ما عجزت عن تغييره في الع ام .
فان كان غاية صومك ترك الطعام والشراب فالصيام هنا مـ جرد عذاب لك !.
والزكاة أثرها يتضح في النفس مباشرة ، حيث يتذوق القل ب طعم العطاء ولذلك قال الله { خذ من أموالهم صدقة تطه رهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سـ ميع عليم } "التوبة ١٠٣" .
هكذا الاسلام الحق يبين ترك الناس واقرار حرياتهم بالكامـ ل .
فأعتقد أن معنى كلمة التسامح الصحيح " هو الايمان بحر ية البشر " ، وانكار حرية البشر كانكار أنهم يأكلون ويشر بون! .
ونقيض التسامح " الاجتماع " والآن نستطيع أن نقول عن التعصب أنه ضد التسامح .

- الحمدلله رب العالمين

هو الله، ربي وربك، ورب آدم وابليس، ورب ابراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، وشعيب وأصحاب الايكة، وهود وعاد، وثمود وصالح، ومحمد وأبى لهب، وعكرمة وأبي جهل، نعم هو رب الم سلم والمسيحي واليهودي.......، رب الناس جميعا.

فليس لأحد فضل على أحد، فالله خلقنا جميعا من تراب وتولى سبحانه وتعالى محاسبة النيات، ما يعني أن حكمنا يجب أن يكون أ ساسه الاعمال.

قلتها ومازلت أكررها نحن ضمنيا نعمل كشعب الله المختار، ن عادي الكل ونحارب الكل وبماذا؟ باسم الله!

نفجر هنا، ونحطم هناك!، بل ونقتل بعضنا بعضا وباسم من؟ الله جل جلاله.

وكوننا للأسف نقرأ القرآن ابتغاء للأجر لا أكثر فنحن أمة تعود ت أن تتعاطى مع قشور الدين بل ونتشدد في ذلك، وتركنا التفكر ف ي كنه الايات التي نقرأها ليل نهار.

الله يفتتح هذا الكتاب العظيم بـ { الحمدلله رب العالمين } ربك أ نت وهو، فعلاما ترى نفسك مرسولا دون الناس وتقتل باسمه وكأ نه اله لك وحدك ومن ضمن ممتلكاتك؟!، وكأن للمقتول رب أخر!

وباسم من تقتل، باسم { الرحمن الرحيم }!، فهل تفكرت في م عنى هاتين الايتين يامن تصلي الخمس؟!

هل تفكرت في معاني القرآن قبل أن تفجر نفسك وتقتل عباد الله مؤمنهم وغير المؤمن؟

ألم تقرأ قول الله تعالى { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } "البقرة ١٩٠" فأن كنت قرأتها وأ فكارك لم تتزعزع فتلك مصيبة وان لم تقرأها فتلك مصيبة أعظم!

وتردد كذبا " الله أكبر "! من ماذا؟! من بقايا أشلاء ممن لا ناقة له ولا جمل مع عقدك! ، "الله أكبر" من ماذا؟! أطفال يتمتّهم؟ أو نساء ثكالى؟!، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولمثل هؤلاء أقول { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْ نَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } "الأعراف ١٨٠".. نعم ملحد، فمن يقرأ { الرحمن الرحيم } ومن ثم يتلاعب برؤوس القتلى لا يعدوا الا ملحدا في أ سماء الله مشوها لصورته وصورة الاسلام.

فالله يقول { لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُو ءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } "النساء ١٢٣" لي س بأماني أحد سواء مسلم أم نصراني أم يهودي ولكن الجزاء يكو ن من جنس العمل والله وحده من يجزي بذلك فيما الآية التي تتبعه ا زكى الله فيها من أسلم وجهه لله وذلك بالبحث عنه والتقصي كما فعل ابراهيم خليل الله لا بأنه مسلم فقط، فالاسلام في شهادة الميلاد يكون طبقا لدين الابويين لا ديانتك أنت، لكن ملة ابراهيم في التق صي والبحث عن الله المورّثة في نهاية المطاف للايمان الذي لا ي ورث أبدا مع الجينات ! ، بل يكون نتيجة لتجربة وطول بحث عن الله...

فيجب أن نعي هذه الآية التي نتلوها ١٧ مرة يوميا ونترك النوا يا لله وننصح ان تسنى لنا الامر بذلك وديننا دين يسر وتسامح، فان حدث أن رأيت قولا يحث على التشدد أو القتل فلا تعتد به فهو يناف ي جوهر ديننا الحنيف....

- هل نعرف الله حقا

معرفة الله رحلة لا تكون الا بالشك والبحث ، ومن ثم التسائل و التذكر .

ابراهيم عليه السلام سأل ربه أن يرى كيف يحي الموتى وكذلك فعل موسى .

نبينا الكريم اعتزل في غار حراء ٣٠ عاما قبل أن يوحى اليه .

يجب على الانسان ولو مرة واحد في حياته أن ينسحب من تأثير مجتمعه عليه كون البيئة هي المؤسس الرئيسي لأغلب عقول البشر اليوم الا قلة قليلة أخذت بزمام عقلها وأستسلمت للحظة الديكارتية ولم تنجو فكرة في عقولهم من مقصلة الشك والبحث .

لما لا نبحث ، لما لا نتعلم ، لما نصلي ونصوم ولكن حياتنا ضنك ؟ ، لما ولما ولما والنتيجة أننا لا نعرف ولا نؤمن بما نقوم به .

فأغلبنا مسلم بالجغرافيا ولو كان في ادغال افريقيا لكن مثلهم اليوم ، وأغلبنا يقول " هذا ما وجدنا عليه آبائنا " ويلزمك باتباع أفكار لا تمت بالعقل ولا للعصر بصلة ، فترفض وقد يحكم عليك بالردة والزندقة والكفر ولسان حالك يقول {أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} "الزمر ٤٣". ! .

يقولون كيف هؤلاء كلهم يكونون على خطأ وأنت على صواب ، فتقول هذا هو منطق أبا جهل ضد النبي واليوم هو منطقكم أنتم .

كلنا نعرف أرسطو مع أن الكثير من أفكاره سقطت رغم أنها راجت لمدة ألف عام !، ومع ذلك لم تأثر سقوط أرائه في مكانته كواحد من أساطين الفلسفة.

لما لا أكون مثلهم ؟ بل لما لا أكون أفضل منهم ؟ ان قلت لا تسد
تطيع فأنت تقطع على قدرة الله وتطعن في عدالة الله ! وهذا كفر .
نعم نستطيع أن نكون أفضل ونفهم الاسلام بطريقة أفضل ونأسد
س مجتمع أفضل ، وهذا لا يكون الا أن نبدأ بالشك أولا والبحث الد
طويل ثانيا ولا يكون الا بالانسحاب ومن ثم العودة كما يقول أرنولد
د توينبي .
اسأل نفسك هل تعرف الله حقا، هل أنت تعبد الله كما أمر وتقيم
العدل وتترك الناس في حالهم ، أم كما يريد مجتمعك؟، هل أنت تعد
يش بالدين... أم الدين يقتات بك؟.. هل أنت مسلم بالوراثة أم مؤمن
بالتجربة؟..
اسأل نفسك وابحث عن الاجابة وابدأ رحلة الايمان ولا تخف و
لا يغرّنك تحذيراتهم فهم يخشون أن تبور تجارتهم !.

سرطان الفكر

للاباء سطوة أرقت الانبياء والمفكرين ، فنوح وضع أمامه الا
ستفهام الأنكاري " أنترك ماوجدنا عليه آبائنا " ؟ ، فيما ابراهيم دمد
ر اصنامهم ووضع السيف في رقبة كبيرهم ولكن سطوة الأباء أتد
ت أمامهم مرة أخرى فحرقوا ابراهيم .
فيما محمد قوبل وبشكل سافر بذات الحجة في مرات ومرات و
كأنها حجة دامغة وهي مجرد أحرف تم رصفها بصورة احترافية
! .
فيما أتهم بالهرطقة كوبرنيكوس بعدما أثبت خطأ بطليموس في
مركزية الأرض ، وأحرقت الكنيسة جيوردانو برونو لاعتناقه أف

كار كوبرنيكوس رغم أن دعائم دينهم يقوم بالتأكيد على مظلومية ا
لمسيح عيسى ! .

فيما تم سجن العقل الجبار غاليله في منزله بعدما أكتشف أقمارا
للمشتري وأيضا بعدما أثبت خطأ أرسطو في مسألة سقوط الأج
سام في الفراغ ما أفقده وظيفته في الجامعة ومن ثم أكد على أقوال
كوبرنيكوس ليحاكم من قبل الكنيسة ! .

فيما أصاب الذعر بدل الفخر هيرفي مكتشف الدورة الدموية
فلم يعلن عن كتابه للملأ خوفا من بطش الكنيسة !.

فيما أحرق الوزير حامد بل قطع الحلاج وطاف برأسه فقط لأن
ه قال بالحلول ، رغم أن الاسلام عانى من تعذيب قريش للمسلمين
الأوائل !، وهذه بعض القصص من سطوة الاباء على الحياة ! .

فيما اليوم قد لا تكون هذه السطوة واضحة ، كونها تتقنع بغطاء
الاسرة والدولة والعادات والتقاليد والدين ، فتكون مهمة الفرد أ
صعب من مهمة ديكارت لتفكيك كل هذه المسلمات التي تفرض ع
لى الفرد بلا تفكير أو تحليل .

فالافكار حالما تصبح جزء من العادات تخسر وهجها وتستحيل
الى قيد يطوق من يتعاطى معها كفلسفة أرسطو التي كانت كالنجم
اللامع في عصره ، وكقيد من نحاس في قرون الظلام .

فلك أن تتخيل أن أول من شرح انسانا وهو زميليس قد أحرق ك
تبه وأبحاثه التي أثبتت بطلان أقوال الاغريقي غالين اللذي استند ف
ي ابحاثه على بعض الملاحظات من خلال تشريح أجسام الحيوانا
ت ، فغير زميليس بعد قرون طويلة مفهوم التشريح ولكن كانت ال
مفاجأة أن المجتمع العلمي رفض أطروحات زميليس وفضل البقاء
على الملاحظات القادمة من الحيوان ! .

فأفكار غالين وأرسطو وفلسفة زينون وابيقور وأفلاطون وأديا
ن محمد وعيسى وموسى كلها تصاب بسرطان " هذا ماوجدنا علي
ه ءابئنا " .

وقد حارب المفكرون هذا السرطان اللعين الا أنه كان ينتصر
غالبا كونه لا يكلف الانسان عناء البحث والتفكير فيركن لهذا القو
ل السهل اللذي لا يكلف شيئا .

وهذا السرطان يتم القضاء عليه بشكل متواصل عن طريق البحـ
ث والمطالعة ولحظات الجلوس مع النفس والنظر في صحة كل فـ
كر بداية من الدين وانتهاء بأدنى فكرة وبهذا فقط تكون فردا متحر
را عاقلا .

فغالبا ماتعتمد العادات والتقاليد على العاطفة لا على الفكر ولهذ
ا فان تم ادخال الدين من ضمن العادات والتقاليد فهذا يعني دينا بلا
عقل قد يقتل كما فعل بالحلاج وبرونو وأيضا الفكر قد يصبح كلا
ما مجردا من التفكير فيسجن غاليله ويخيف هارفي ويغضب زميلي
س ...

تحرر من المعتقدات وأعد النظر فيها لتصنع أفكارك بنفسك وبـ
يدك أنت فقط ..

الأنسان والأديان

لم نرى شعبا يقود بتأدية القسم للرئيس ، ولكن رأينا الرئيس يقو
م بتأدية القسم للشعب كونهم علة وجوده .

ولكن في حالة الأديان نرى الأنسان يؤدي القسم للأديان رغم أ
نه سبب وجود الدين ، وهذا يعني أن فهمنا للدين مختل .

فالأديان هي من تؤدي القسم للأنسان وتعمل على توفير احتياج اته وتسهيل حياته لبلوغ السعادة لا تعقيدها .

ولكن صير هذا القسم قسما من الانسان للأديان بالولاء فاستحال ت الأديان غير الأديان والأنسان غير الأنسان .

الكنيسة تكره المسجد والمسجد يكره المعبد وعيسى وموسى ومـ حمد لا يعرفون الكراهية..

أعلم أن عيسى سيقف مع يرونو ضد من يرون أنهم يمثلونه ، أ علم أن محمد سيقف مع الحلاج ضد الوزير حامد .

أعيدوا قسم الأديان للأنسان لكي نعيش في سعادة في غمرة اخ تلافنا فالأختلاف يخلق شيئا نجهله ما يعني حقل بحث جديد وهكذا تستمر الحياة .

أعيدوا قسم الأديان للأنسان فقد تعب ومل وهو يقسم لو بالولاء ولكن في النهاية علم أنه كان يقسم لرجال دين وليس لدين .

أعيدوا قسم الأديان للأنسان لكي أستحضر عطف عيسى وعفو محمد ورؤية بوذا وهمة موسى وفكر ابراهيم وحكمة كونفوشيو س واستنارة زرادشت .

أعيدوا قسم الأديان للأنسان لكي أسعد مع من خلقني وأشكر نعـ مته من دون أن يجعلني هذا أبغض أحدا أو أعادي أحدا .

أعيدوا قسم الأديان للأنسان فقد حان الوقت ليكون الدين لله .

خاتمة

"ان لم أنجح اليوم فهذا لا يعني فشلي بقدر ما أني قد أكتشفت خطوة الى الرأي الصحيح " .

كلنا نريد التعريف بالاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة .

فقد تختلف كيفية نظرتنا الى الموضوع ، ولكن انشغالنا بأي الزاوية أفضل سيضيع الهدف الأساسي.

فكما قلت في بادئ الأمر في هذا الكتاب ، أني لست مع أحد ضد أحد ، فهنا أناقش الفكرة ولا أنظر لمن يتبع هذا الفكر ، وأتمنى أن تشيع هذه الطريقة في عالمنا العربي لكي نركز على الأفكار والتي هي من شيم الكبار ونترك الحديث في الشخوص فهي من شيم صغار العقول سفهاء الأحلام .

وعلينا أن نفهم فلسفة الدين أو العقيدة التي تتكون من مجموعة أفكار ونظم ، هذه النظم ستفهم من قبل بشر يختلفون في ملكاتهم وقدراتهم العقلية.

مايعني أنهم سيفهمون هذه العقيدة بألف طريقة وطريقة ، وأفضل الطرق هي التي ستجني ثمار الدين ومابشر به ، وقد تشترك مجموعة طرق في مقاربة مابشرت به الدين ، كونهم وصلوا اليها من خلال ملكات متنوعة وبالتالي طرق متنوعة ، أما من أنقطعت به السبل فهو يبقى متمسكا بتوحيد الله ولكن لم يجني ثمار الدين في الدنيا لا أكثر .

فالعقيدة لا تكون حقا أو باطلا في ذاتها ، فهي ليست كيانا متفردا لنقول أنها حق !

بل تكون توجها ، هذا التوجه يتكون من أفكار وهذه الافكار تفهم بعشرات الطرق المختلفة ، وكما أشرنا فان قلنا هذه الطريق مقا

ربة لجوهر الدين فلهذا يعني وجود طرق أخرى لم تقارب جوهر الدين .

فالدين كاللغز الذي يفهم من قبل المتسابقين بطرق مختلفة ، ولكن للغز خطوط عريضة لا يحاد عنها .

فان كان اللغز بطريقة رياضية فالحل سيأتي رياضيا لا بيولوجيا ! ، وبالتالي قد ترى فائزا أو اثنين أو ثلاثة أو عشرة ، فيما البقية لم يجدوا الطريقة المثلى للحل ! ، فهل هل علينا البلاغ وشرح الطريقة أم شتمهم والزامهم برأي واحد ؟

فلما نتشاحن ونحاول أن نفرض رأيا واحدا بل نقتل لأجل ذلك ،فالافكار ليست لها أي قيمة ان لم يكن الانسان موجودا فكيف يقتل لأجلها ؟!

فان تخيلنا العالم خاليا من البشر ووضعنا الاسلام والمسيحية واليهودية وغيرها من العقائد في هذا العالم الخالي ، سنرى هذه العقائد مجرد مسميات لا أكثر وبلا قيمة ، ونحن نؤمن أن الله ليس بحاجة لنا فلما نقتل وندعي أن هذا لأجل الله ؟ .

ولاجل ذلك يجب أن نتعايش ونسعد بالاختلاف ، واليوم نحن بأمس الحاجة لكل كلمة ، لكل فكرة ، لكل رؤية ، فحاضرنا اليوم هو نتاج تخبطنا في الماضي ، ولكن مستقبلنا في الغد سيكون نتاج اليوم ، فهل نستمر في تخبطنا أم نخطو خطوة للأمام ، هذا مانحتاج أن نجيب عليه ....

حسين نور

الإنسان والأديان..من علة الآخر؟

بحر يصعب سبر أغواره ، سطحه مظلم خندس

وأعماقه نور وضياء للعقل ،حب وكراهية وفراق والتقاء

حضور وغيب وعلة لظالم وشكوى بيد المظلوم

رمح في يد جماعة وسيف في يد جماعة أخرى

وخنجر في يد فئة تختبئ هنا وهناك..

هكذا هي العلاقة بين الإنسان والأديان منذ القدم..

فلنستعد للمغامرة لعلنا نسبر أغوار هذا البحر المجهول.

حسين نور عبد الله